

الدكتور : عبد العزيز شهابي

النروايا والصوفية والعزابة

والإحتلال الففرنسي

في الجزائر



دار الغرب
للنشر و التوزيع



عاصمة الثقافة العربية



سید محمد باقر

المكتوب : محمد العزيز شصبي

الزوايا والصوفية والعزابة
والإحتلال الفرنسي
في الجزائر

دار الغرب للنشر والتوزيع

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
كثر الجدل والنقاش في أوساط المثقفة حول الزوايا ومختلف
الطرق الصوفية في الجزائر ، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي ،
ومدى مساهمتها في الحفاظ على مقومات المجتمع ، ومقاومة
الاحتلال ، أو تخضير المجتمع والتعامل مع الاحتلال فهل كان
دور الزوايا والتصوف إيجابيا أو سلبيا في مواجهة الاحتلال
الفرنسي ؟ وكيف كان موقف الاحتلال ورد الفعل ؟

في الواقع قامت دراسات حول الزوايا والتصوف في الجزائر ،
ولو كانت قليلة أو جزئية وتعرضت إلى جوانب دون أخرى ، أو
محلية في بعضها . ولو اجتمع شتات تلك الدراسات وتناولت
بطريقة أكاديمية كما فعل " د.أبو قاسم سعد الله " في مؤلفه
" تاريخ الجزائر الثقافي " ، لوجد الباحث مادة غزيرة حول
الموضوع أو ما يحتاج إليه .

واعتمادا على ما ذكر حاولت جمع بعض المعطيات حول
الزوايا والتصوف ، وتلخيصها وترتيبها ، وتقديمها مختصرة للقارئ.
ولعل المتصفح قد يجد في هذه المساهمة البسيطة والتواضعة ما
كانت تقوم به الزوايا من تعليم ديني تمثل خاصة في القرآن والتفسير

والحديث والفقه ، والنحو والصرف والأدب والبلاغة ، بالإضافة إلى علوم أخرى كالحساب والفلك والتاريخ والجغرافيا .

أما التصوف فبالإضافة إلى اهتمامه بالعبادات والزهد ، فظهر دوره الروحي والاجتماعي والتربوي لا سيما في إقامة الزوايا والقيام بالتعليم ، وإيواء اللاجئين ومساعدة المحتاجين ، والإصلاح بين أفراد المجتمع ، وتقديم الملجأ الروحي للذين يعانون من الإضطهاد الاحتلال وتعوزهم الوسيلة لمقاومته .

ورغم بعض المواقف والممارسات السلبية ، إلا أن الزوايا والصوفية قد ساهمت إلى حد كبير في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية ، وتصدت للاحتلال بطريقة أو أخرى ، وكان ينتمي إليها رجال المقاومة في القرن التاسع عشر في معظمهم.

لذلك وقف الاحتلال في وجه هذه المؤسسات ، وحاربها بجميع الوسائل ، فهدم كثيرا من مبانيها أو أغلقها ، وقضى على ممتلكاتها ، وسجن بعض شيوخها أو نفاهم ، وسيطر على بعضهم الآخر أو استمالهم إليهم .

وأضفت إلى هذه المؤسسات جماعة العزابة بوادي الميزاب ، لكونها قامت بنقش الدور ، عدا الممارسات الصوفية .

والله ولي التوفيق

د. عبد العزيز شهيبي

تمهيد

يلاحظ أن الزوايا المؤسسة أصلا للتعليم الديني أو زوايا تحفيظ القرآن الكريم التابعة للصوفية ، كانت مدارس للتربية والتعليم، وتهيئة النشء للمعاهد الإسلامية العالية . حيث يتخرج منها علماء وأئمة ينتشرون في المدن والقرى والأرياف معلمين وهداة ومرشدين روحيين .

ومن هنا كان إقبال الناس على دراسة العلوم الدينية في المعاهد العليا أيام الاحتلال لا يتم عادة إلا بعد أن يمروا بالزوايا التي تؤهلهم لذلك ، فيتخرجون أعلام فكر ودعاة إصلاح ، وعلماء بلاغة وبيان لأجل خدمة أمتهم وإعلاء شأنها بين الأمم .

وكما كانت هذه الزوايا محط الرحال لطلبة القرآن واللغة العربية والعلوم الإسلامية ، فقد كانت أيضا ملجأ للفقراء والمساكين ومأوى الغرباء والعجزة وأبناء السبيل لإطعامهم وإيوائهم وهي بذلك تقدم لهم خدمة اجتماعية جلية في الماضي القريب.

هذه الزوايا المعروفة في الجزائر كثيرا هي زوايا القرآن واللغة العربية والعلوم الدينية ، وقد استمر وجودها طيلة فترة الاحتلال الفرنسي ، فكانت حصنا من حصون الثقافة الإسلامية ، ومنهلا

للغة العربية ومدرسة للتربية الدينية والوطنية ، ومعقلا للمجاهدين والأحرار الذين رفضوا وجود الاستعمار الفرنسي وما حمل معه من فساد ، وتدمير للوطن وللشخصية العربية الإسلامية .

لقد كانت هذه الزوايا البسيطة روافد تمد المدارس الحرة في الجزائر وتزود المعاهد والجامعات الإسلامية في المغرب والمشرق بطلبتها النجباء كالجامع الأخضر بقسنطينة ، وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب الأقصى ، والجامع الأزهر بمصر . فبعض هؤلاء الطلبة الذين تحتضنهم هذه المعاهد والجامعات الإسلامية ، هم في الأصل أبناء الزوايا والكتاتيب القرآنية التي بعثت فيهم الروح العلمية الإسلامية والغيرة الوطنية

وفي زوايا القرآن والعلم والتربية والكتاتيب نشأ وترعرع المصلحون والمجاهدون الأولون أمثال الأمير عبد القادر ، والشيخ بلحداد ، والشيخ بوعمامة ، والشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الإبراهيمي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ مبارك الميلي ، والشيخ أرزقي الشرفاوي ، والشيخ المولود الحافظي ، والشيخ مولود الزريبي ، والشيخ الفضيل المورتلاقي ،

فكلهم أبناء الزوايا والكتاتيب ، وأمثالهم كثيرون . في كل أرجاء الوطن الجزائري¹ .

إن هذه الزوايا إذن كان لها الدور الكبير في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التنصيرية الكثيرة بالجزائر أيام الاحتلال ، وفي الحفاظ على قراءة القرآن الكريم ، وبقاء قيمه ومفاهيمه نظيفة خالصة، رغم الثقافة الاستعمارية التي سادت ربوع هذا الوطن والتي حاولت أن تثير الشبهات حول الدين الإسلامي للقضاء عليه أو زعزعته .

وعلى هذا الأساس يكون مؤسسوا هذه الزوايا والمعلمون فيها أصحاب رسالة ولهم وزن عند الناس لأنهم صانعوا أجيال وبناء مجد احتفظ التاريخ في صفحاته المشرقة بأسماء كثير منهم . وكثير من هؤلاء لم يقتصر عملهم على تعليم الطلبة وتربية العامة فحسب بل هاجروا المحاريب وحلقات الدروس إلى جبهات القتال . دفاعا عن الإسلام والمسلمين . وتحريرا للوطن من براثن الاستعمار.

¹ - محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، الجزائر

المفصل الأول

زوايا العلم والتعليم والاحتلال الفرنسي

- * نشأة العلم والتعليم وانتشارها في الجزائر
- * سياسة الاحتلال الثقافي وتصدي الزوايا لها
- * دور الزوايا في نشر العلم وتنظيماتها
- * نماذج من زوايا التعليم

1- تعريف الزاوية

لعل لفظ " الزاوية " في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية ، وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور. إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية . وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان ، وأماكن تختزن في صنادقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بأدابه وسجايه الحميدة وملاحمه التاريخية والوطنية .

والزاوية : هي في الأصل ركن البناء ، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي على أن مصطلح " الزاوية " ظل في المغرب الإسلامي أكثر شمولاً من ذلك ، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني ، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظيفتها التعليمية .

وقد ذكر " دوماس " Daumas عام 1847 في كتابه " منطقة القبائل " تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال : " إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة " ¹

¹ - ليفي بروفنسال ، " الزوايا " دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد

الشتاوي وآخرين ، المجلد 10 ، القاهرة 1933 ، ص 332 .

والظاهر أن هذا التعريف يتفق في الجوهر وما عليه الزاوية أو ما كانت عليه في الماضي .

والزاوية تحتوي عادة على مصلى ، وغرفة قصرت على تلاوة القرآن ، ومدرسة لتحفيظ القرآن ، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية ، كما تضم غرف أو مراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين ، ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح ، ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية ، أو أحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية وتجاوزت شهرة المؤسس نفسه .

2- نشأة الزوايا بالمغرب الإسلامي والجزائر خاصة

نشأ نظام الزوايا بالمغرب الكبير بعد القرن الخامس الهجري إذ سميت في بادئ الأمر " بدار الكرامة " كالتى بناها الخليفة يعقوب المنصور الموحدى في أواخر القرن 6 هـ/ 12 م بمراكش ثم أطلق المرينيون على الزوايا التى بنوها في عهدهم فى القرن 7 - 8 هـ / 13 - 14 م اسم "دار الضيف " . ومن ذلك الزاوية العظيمة التى أسسها السلطان أبو عنان المرينى خارج مدينة سلا فى منتصف القرن 8 هـ / 14 م . وزاوية "سلا " فى نفس التاريخ قرب مدينة الرباط التى دفن فيها السلطان أبو عنان والده أبا

الحسن، وزارها لسان الدين بن الخطيب ، وخطابه فيها بخطبته الشهيرة في تاريخ الأدب العربي ¹ .

على أن مصطلح " الزاوية " ظهر في المغرب حوالي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) مرادفا للرباط ، أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي ويعيش وسط تلاميذه ومريديه ، ومع ذلك فإن الزاوية ليست في جميع الأحوال مكان الرباط الذي يخدم غرضا آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي ارتبط بالنشاط العسكري في المغرب الأقصى .

وجدير بنا في هذه المناسبة أن نشير إلى رواية " ابن مرزوق التلمساني " المتوفي عام 781هـ / 1379م الذي خص الفصل الثاني والأربعين من رسالته عن " أبي الحسن علي المريني " المسماة " المسند الصحيح الحسن " ، خصه للكلام عن الزوايا التي شيدها هذا السلطان . وقد ذكر التلمساني أن الزاوية هي ما يعرف في الشرق باسم الرباط أو الخانقاه ² . وكلمة " خنقاه " كانت تطلق بصفة خاصة على المنشآت الصوفية التي يرد أصلها بصفة عامة إلى التصوف الإسلامي .

¹ - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 30 .

² - ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 332 .

وبهذا يتضح الفرق بين الرباط بين الرباط ذي النشاط العسكري ، والرباط الذي اعتبر الزاوية ذات النشاط الديني التربوي والتعليمي في آن واحد . ولا شك في أن الرباطات الأولى قد نمت سريعا لتصبح أماكن يفرع إليها الناس لتحقيق أمنهم الدنيوي إلى جانب كونها أصبحت أيضا مراكز للحياة الدينية والصوفية حيث كان التصوف شغل الفقهاء الشاغل قصد تقريبه إلى أذهان العامة وأصبحت الزوايا حينئذ مراكز تستهوي قلوب الناس ومدارس دينية في آن واحد ، كما أصبحت إلى حد ما دور ضيافة مجانية ، يقصدها الرحالة الذين يبحثون عن الكمال الروحي . وهذا يفسر لنا قول " ابن مرزوق " في كلامه عن الزوايا في زمنه : " من الواضح أن الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين وتطعم المسافرين " ¹ .

ولقد ذكر *marçais wet G* أن السلاطين المرينيين وسلاطين بني عبد الواد الذين حكموا في القرن الرابع عشر الميلادي، إنما قصدوا من إنشاء المدارس المغربية أن تكون اعترافا رسميا منهم بالمدارس الملحقه بالزوايا ² . ولعل الأرجح أن هؤلاء

¹ - ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 333 .

² - و ، ج مارسلي ، " المباني العربية بتلمسان " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 333

السلطين قد حاولوا بمنشأهم التي أقاموها بجانب المراكز الكبرى للتعليم الديني ، وخاصة جامع القرويين بفاس ، أن يخففوا إلى حد ما من حدة المنافسة التي سببتها مدارس الزوايا في المدن وخارجها . وتطور هذا المفهوم بعد ذلك بالمغرب العربي بأن صارت تعني مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية ، يجتمع فيها مريدون لذكر الأوراد ، إضافة إلى كونها مأوى لطلبة القرآن والعلم وبقية الزوار الذين يقصدونهم كما تقدم .

وهكذا تكون في الجزائر خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) مجموعة من الزوايا منها ، الزاوية الشعلبية في مدينة الجزائر ، والزاوية الملاحية في قسنطينة ، والزاوية السنوسية بتلمسان وغيرها كثير¹ . وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بعد تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد ، بمجيء الأتراك العثمانيين وبسط سلطتهم على البلاد ، ثم استمرت الزوايا في أداء دور التربية والتعليم خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وامتد نشاطها إلى سنوات الاستقلال عام 1962 .

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، ص 40 .

3- انتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر

يعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله¹ أن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر ، انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية حيث في المدن والأرياف ، والجبال والصحاري ، عاش معظم المتصوفة يثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد ، مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا ، مؤثرين العزلة والعبادة ، وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامّة مبادئ الدين أيضا. فإذا ما اشتهر أحدهم بين الناس أسس لنفسه مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ، ويعلم الطلبة طريقته طريقة أستاذه في الأذكار ويتبرع الناس لهذا المركز ، فيكبر ويثرى ويتضاعف قصاده ومريدوه ، ويصبح اسم المتصوف (الم رابط) علما على المكان ، ويصبح المكان يدعى بين الناس : " زاوية سيدي فلان " .

ولهذه الفترة ذكر الدكتور سعد الله نفسه قائمة طويلة للزوايا أغلبها هي² : في مدينة الجزائر كانت زاوية عبد الرحمن الثعالبي ، وزاوية ولي دادة ، وزاوية عبد القادر الجيلالي وزاوية سيد محمد الشريف ، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله

1 - أبو قاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 262 .

2 - نفسه ، ص 263 ... 268 .

الجزائري وزاوية سيدي الجودي ، وزاوية سيدي جمعة ، وزاوية سيدي الكتاني ، وزاوية سيدي السعدي ، وزاوية سيدي الفاسي ، وزاوية سيدي أبي التقى وزاوية سيدي يعقوب ، وزاوية سيدي أيوب ، وزاوية سيدي بوعينان ، وزاوية سيدي بوعتيقة ، وزاوية الأشراف ، وزاوية القشاش ، وزاوية سيدي عبد القادر الجزائري ، وزاوية علي الزاوي ، وزاوية القاضي المالكي ، وزاوية سعيد قدورة ، وزاوية مولاي حسن ، وزاوية شيخ البلاد وزاوية الأندلسيين ، هذه كلها في مدينة الجزائر .

وفي النواحي المجاورة لمدينة الجزائر ، كانت زاوية ابن علي مبارك بالقلعة وزاوية المربوسي بالأربعاء ، وزاويتا النملي وخير الدين بني موسى ، وزاوية عبد بن بوناريك والدويرة ، وزاوية البركاني قرب شرشال .

وتعتبر منطقة القبائل وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان . فقد كانت زاوية تيزي راشد (وتسمى أيضا زاوية ابن اعراب) ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة . وكانت زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية أيضا قد أخرجت أجيالا من المعلمين . واشتهرت بنشر التعلم أيضا زاوية الأزهري بآيت إسماعيل ، وزاوية ابن علي شريف بأقبو ، وكذلك زاوية سيدي منصور بآيت جناد وزاوية عبد الرحمن البلولي ، وزاوية

أبي القاسم بوجليل ، وزاوية ابن أبي داود ، وزاوية محمد السعدي
والزاوية الزروقية ، وزاوية أحمد بن يوسف .

وفي مدينة قسنطينة ، هناك : زاوية سيدي الكتاني ، وزاوية
سيدي المناطقي وزاوية سيدي عبد المؤمن وزاوية سيدي مسيد
وزاوية سيدي مخلوف وزاوية سيدي ميمون ، وزاوية سيدي عفان
، وزاوية سيدي راشد ، وزاوية سيدي التلمساني ، والزاوية الملاحية
وزاوية أولاد الفكون ، وزاوية ابن نعمون ، وزاوية رضوان
خوجة وزاوية أولاد جلول .

وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية بني بومسعود ، وزاوية بني
مقران ، وزاوية الشليحي ، ومعصرة (أو زاوية محمد بن يحيى)
الوقعتان عند أولاد عبد النور ، وزاوية مولاي الشقفة بين جيجل
والقل ، وزاوية الزبوشي برجاس قرب ميلة .

وفي مدينة وهران اشتهرت زاوية محمد الهواري ، وزاوية
ابراهيم التازي ، وزاوية عبد القادر بن الشريف (الدرقاوية) .

كما اشتهرت في نواحي وهران : زاوية الشيخ محمد بسن
علي المجاحي المعروف " اهللول " بنواحي تنس ، وزاوية
القيطنة بمعسكر (وهي التي كان على رأسها الشيخ محي الدين والد
الأمير عبد القادر) وزاوية مازونة .

وقد اشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها منها : زاوية
سيدي الطيب الوزاني (أو الزاوية الطيبية) وزاوية سيدي

بومدين ، وزاوية محمد السنوسي ، وزاوية أحمد الغماري ،
وزاوية سيدي

وزاوية عين الحوت ، وزاوية الشيخ محمد بن عبد الجبار
المسعودي الفجيجي التلمساني بحدوش .

وفي جنوب الجزائر لعبت الزوايا دورا بالغ الأهمية في نشر
الإسلام واللغة العربية ، ليس في الجزائر فقط ، بل في الأقطار
المجاورة للجزائر كذلك جنوب الصحراء الكبرى ، وكونت العلماء
والفقهاء وحفظة القرآن الكريم ، وهي أيضا كثيرة تقتصر
على ذكر عدد منها فقط كمثال لغيرها من الزوايا التي على
غرارها .

ففتي الجنوب الشرقي¹ توجد الزاوية الناصرية والزوايا
الرحمانية بخنقة سيدي ناجي ، وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة ،
وزاوية عبد الرحمن الأنحضري بينطوس ، والزوايا المختارية بأولاد
جلال ، وزاوية سيدي خالد ، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف ،
والزاوية التجانية بعين ماضي وتماسين ، وزاوية أولاد عمر موسى
بمتليلي ، وزاويتا سيدي الحاج يحي وسبيدي الحاج بحوص بالمنيعه .

¹ - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 - 227 .

وفي الجنوب الغربي هناك زاوية سيدي أحمد بن موسى ببني عباس ، وزاوية سيدي عبد الله بن طمطم برقان¹، ومجموعة زوايا توات² وهي : الوزانية ، والكرزازية ، والبكائية ، والبكرية . ولكن ، قد توقف عدد كبير من الزوايا عن أداء الرسالة التربوية والاجتماعية ، منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وذلك بسبب استيلاء الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلامية التي كانت تعتمد عليها الزوايا وتعتبر مصدر عيش لها³ .

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية ، حيث كان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية ، فكانت الزاوية في المدينة غنية بأموالها . أما الزاوية في الريف ، فكانت لها أرض موقوفة ، يستعمل إنتاجها في تغطية أجور المدرسين ومعيشة الطلاب والزوار وعابري السبيل ، وكذلك

¹ - مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، (ش. و. ن. ت) ، الجزائر 1981 ، ص 68 - 70 .

² - فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية 1984 ، ص 110 .

³ - رابح نركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية (ش. و. ن. ت) ، الجزائر 1975 ، ص 396 - 397

الفقراء ، كما كان عادة سكان الناحية يقدمون جزءا من إنتاجهم
الفلاحي سنويا للزاوية .

لذلك ، أن بقية الزوايا التي استمرت في أداء رسالتها فيما بين
سنوات 1954/1900 هي تلك التي بقيت لها مصادر أو أملاك
خاصة ، استطاعت بواسطتها أن تعيش ، وتواصل عملها في
تعليم القرآن وعلوم الدين ، ونشر اللغة العربية . وهي أيضا التي
نقل بعضها منها في الجداول الآتية، ليس على سبيل الحصر ،
وإنما كأمثلة فقط ، إذ ليس من اليسر إحصاؤها ومعرفة
جميعها. وهذه الزوايا هي :

أ - زوايا الوسط الجزائري¹

وضعيتها	التأسيس	مؤسسوها	الولاية	مقرها	الزوايا
دمرت أثناء الثورة التحريرية	ق/ 7هـ / 13م	بومرداس	بومرداس	تيجلاين	أولاد بومرداس
أغلقت عام 1954 ثم أعيدت	ق/ 11هـ / 17م	سيدي عمر والشريف	بومرداس	سيدي داود (دلس)	سيدي عمر والشريف
خربت أثناء الثورة ثم أعيدت			بومرداس	أعقير (دلس)	سيدي محمد السعدي
خربها الاستعمار	ق/ 8هـ / 14م	ابن منصور بن يحيى	البويرة	بني عمسران	الرابطة
استمرت أثناء الثورة	ق/ 13هـ / 19م	عبد القادر بن عمر الحماصي	البويرة	الحمام (الأحمضرية)	سيدي بو عبد الله الحماصي
استمرت أثناء الثورة			البويرة	القادرية	الشيخ ابن عمر
استمرت أثناء الثورة	ق/ 9هـ / 15م	سيدي محمد بن عبد الله	المدية	العيساوية (تابلط)	بوحمامة
استمرت أثناء الثورة	ق/ 11هـ / 17م	سيدي العوفي	المدية	الميتوب (تابلط)	أولاد سيدي العوفي
استمرت أثناء الثورة	ق/ 12هـ / 18م	سيدي أحمد شلاي	المدية	القلب الكبير (تابلط)	تلاي
.....			البويرة	القادرية	أحمد بوحريالة

١ ب - زوايا منطقة زوارة

اسم الزاوية	مقرها	الولاية	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
سيدني جللول	عزازقة	تيزي وزو	جللول أحمد التفريني	ق 8 هـ / 14 م	أغلقت عام 1956
سيدني أحمد بن إدريس	بلولة - عزازقة	تيزي وزو	أحمد بن إدريس	ق 8 هـ / 14 م	أغلقت أثناء الثورة
سيدني عبد الرحمن البلولي	بلولة - عزازقة	تيزي وزو	عبد الرحمن البلولي	ق 11 هـ / 17 م	هدمت عام 1957
سيدني عمر والحاج	بورقان - عزازقة	تيزي وزو	عمر والحاج	805 هـ / 1402 م	أغلقت أثناء الثورة
سيدني أحمد بن مالك	بورقان - عزازقة	تيزي وزو		ق 9 هـ / 15 م	استمرت بعد الثورة
تيفريت ناث أو مالك	بورقان - عزازقة	تيزي وزو	محمد وعلي الحاج	ق 9 هـ / 15 م	استمرت بعد الثورة

١ - مفران يسلي ، الحركة المدنية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1954) ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، سنة 1991 ، ص 69-71

- محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217-226 .

-	استمرت بعد الثورة	ق 9هـ / 15م		تيزي وزو	أزفون - عزازقة	سيدي منصور
	أغلقت أثناء الثورة	ق 11هـ / 17م	سيدي سحنون	تيزي وزو	المقلع - عزازقة	سحنون جامع الصهاريج
				تيزي وزو	المقلع - عزازقة	تالة مفران الصهاريج
	استمرت بعد الثورة	ق 7هـ / 13م	سيدي أبو بكر	تيزي وزو	تقزيرت	سيدي علي بو بكر
	هدمت أثناء الثورة	1353 هـ / 1934م	الطاهر آيت عيسى	تيزي وزو	تيمليلين - تقزيرت	الشيخ الشريف
	هدمت عام 1958	ق 9هـ / 15م	علي أو يحيى	تيزي وزو	بني كوفي - بوعغني	سيدي علي أو يحيى
	استمرت بعد الثورة	1183هـ / 1770م	محمد بن عبد الرحمن	تيزي وزو	آيت إسماعيل	عبد الرحمن الأزهرى
				تيزي وزو	ذراع الميزان	قساوي
				تيزي وزو	ذراع الميزان	تازروت
	استمرت بعد الثورة	ق 10هـ / 16م		تيزي وزو	كوكو - عين الحمام	سيدي علي أو طالب
	استمرت أثناء الثورة	ق 11هـ / 17م	علي بن محمد السحنوني	تيزي وزو	الأربعاء - عين الحمام	الشيخ محمد السحنوني
				تيزي وزو	إيفر حونان - عين الحمام	سيدي أحمد أو معلم
				تيزي وزو	إيفر حونان - عين الحمام	سيدي علي تا غالت
				تيزي وزو	إيفر حونان - عين الحمام	سيدي موسى
	استمرت أثناء الثورة	ق 7هـ / 13م	أحمد بن يوسف الإدريسي	تيزي وزو	معانقة	سيدي علي موسى
				تيزي وزو	معانقة	تا جديوت

.....			تيزي وزو	معاينة	الشيخ البشير
أغلقت عام 1960 تم أعيدت	1936 .	تيفي آيت بو يحيى	تيزي وزو	تيفي حوالة	آيت بو يحيى
.....			تيزي وزو	تيفي حوالة	اكال ابر كان
استمرت أثناء الثورة			تيزي وزو	تيزي وزو	بورعاصم
.....			تيزي وزو	تيزي وزو	بوخالفة
.....			تيزي وزو	أرجان — الأربعة إيراثن	مبدي أحمد أو السعيد
.....			تيزي وزو	امعالة	بلحليل
.....			تيزي وزو	امعالة	الشيخ المحند سوظ

ج - زوايا بجاية ومنطقتها¹

الزاوية	مقرها	الولاية	مؤسسهـا	التأسيس	وضعيتها
سيدي أحمد أويحي المالحو	بجاية	بجاية		ق 9هـ / 15 م	أغلقت عام 1956
سيدي يحيى أو موسى	سيدي عيش	بجاية		ق 7هـ / 13 م	أغلقت في 1954 ثم أعيدت بعد 1962
سيدي الحاج حسان	سيدي عيش	بجاية		ق 8هـ / 14 م	أغلقت عام 1954
سيدي أحمد أزروق	سيدي عيش	بجاية	سيدي أحمد أزروق	ق 9هـ / 15 م	أغلقت أثناء حرب التحرير
سيدي موسى تيندار	سيدي عيش	بجاية		ق 10هـ / 16 م	توقفت أثناء الثورة ثم أعيدت
ابن سحنون	تغراست (اغزار امقران)	بجاية	محمد السعيد امقران بن سحنون	ق 13هـ / 19 م	فرع من زاوية أيت برائن
سيدي السعيد أمسيس	صدوق	بجاية		ق 9هـ / 15 م	توقفت من 1956 إلى 1963
سيدي يحيى العدلي	تموقرة	بجاية	سيدي يحيى العدلي	ق 9هـ / 15 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي سعيد	معمون (أميزور)	بجاية		ق 9هـ / 15 م	أغلقت عام 1956

المحمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 ، 226 .

د- زوايا الشرق الجزلري¹

الزوايعة	مقرهسا	الولايلة	مؤسسها	التأسيس	وضعتها
سبدي حسن	عين الرزي	سطيف	سبدي حسن	624 هـ / 1227 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ اخوانس	عين والمسان	سطيف	الشيخ اخوانس	1287 هـ / 1870 م	استمرت أثناء الثورة
ثابت خليفة	العلمة	سطيف	ثابت خليفة	1301 هـ / 1883 م	استمرت أثناء الثورة
المربط الزيتوني	عباسة	سطيف	الشيخ الزيتوني	1323 هـ / 1905 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ الحفناوي	الناصور بني مزلين	قالمة	الشيخ عمارة بالديار	1318 هـ / 1900 م	استمرت أثناء الثورة
الحملاني	تلاغمة	ميلة	سبدي عبد الرحمن اخملاني	---	استمرت أثناء الثورة

¹ - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 ، 226 .
 - رايح تركي ، المرجع السابق ، ص 248 .

هـ - زوايا الغرب الجزائري¹

وضعتها	التأسيس	مؤسستها	الولاية	مقرها	الزاوية
استمرت أثناء الثورة	1280 هـ / 1863 م	الشيخ ابن شوقي بونجار	عين الدفلى	العطاف	الشيخ ابن شوقي بونجار
استمرت أثناء الثورة	1298 هـ / 1880 م	الشيخ مراكني بلقاسم	عين الدفلى	بوراشد	الشيخ مراكنسي
استمرت أثناء الثورة	1310 هـ / 1892 م	سيدي أحمد	عين الدفلى	بوراشد	الشيخ سيدي ابن أحمد
استمرت أثناء الثورة	1313 هـ / 1895 م	ابن سيدي عيسى حلول	عين الدفلى	جندل	ابن سيدي عيسى حلول
استمرت أثناء الثورة	1337 هـ / 1918 م	الشيخ سيدي بلحاج	عين الدفلى	عريب	الشيخ سيدي بلحاج بن عمر
هدمت أثناء الثورة		محمد بن أحمد الندائي	تيسمليت	ثنية الأحد	بربارة
استمرت أثناء الثورة	1287 هـ / 1870 م	الشيخ مصطفى العنوي	مستعام	مستعام	العلوي حاج الجليلي
استمرت أثناء الثورة	1267 هـ / 1850 م	سيدي ابن عبد الله	معسكر	معسكر	سيدي ابن عبد الله
استمرت أثناء الثورة	1277 هـ / 1860 م	سيدي البودالي عبد القادر	سعيدة	أولاد سيدي ابراهيم	سيدي البودالي
استمرت أثناء الثورة	1306 هـ / 1890 م		بلعباس	الحمدية	الحمدية الشحانية
استمرت أثناء الثورة	1316 هـ / 1898 م	التاج بلحومة	بلعباس	رأس المال	سيدي التاج
استمرت أثناء الثورة	1333 هـ / 1914 م		بلعباس	بلعباس	سيدي ملال

¹ - محمد نسيب ، المراجع السابق ، ص 217 - 226 .

1 و - زوايا الجنوب الجزائري

الزوايا	مقرها	الولاية	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
الغسل	بوسعادة	المسيلة	محمد أبو القاسم القاسمي الحسيني	1279 هـ / 1862 م	مستعمرة إلى الآن
الأنصوري	بنظيرس	بسكرة	عبد الرحمن الأنصوري	10 هـ / 16 م	استمرت أثناء الثورة
سبدي خالد	سبدي خالد	بسكرة		10 هـ / 16 م	استمرت أثناء الثورة
العثمانية	طلو لقة	بسكرة	سبدي علي بن عمر	13 ق / 19 م	استمرت أثناء الثورة
الناصرية	حنقة سبدي ناجي	بسكرة	محمد بن ناصر	11 هـ / 17 م	استمرت أثناء الثورة
الرحمانية	حنقة سبدي ناجي	بسكرة	عبد الحفيظ بن محمد الحنقي	13 ق / 19 م	استمرت أثناء الثورة
المختارية	أولاد جلال	بسكرة	المختار بن عبد الرحمن	1227 هـ / 1812 م	توقفت أثناء الثورة
القادرية	أولاد جلال	بسكرة	الشريف بن إبراهيم الخاشي	1287 هـ / 1870 م	استمرت أثناء الثورة
سبدي الصادق بلصاج	سبدي المصمودي	بسكرة	سبدي الصادق بلصاج	13 ق / 19 م	توقفت أثناء الثورة

1 - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 ، 226 .

توقفت أثناء الثورة	1298 هـ / 1880 م	مصطفى بن رمضان	بسكرة	لوطاية	الشيخ مصطفى بن رمضان
استمرت أثناء الثورة	1210 هـ / 1800 م	الشيخ سيدي سالم	وادي سوف	الوادي	سيدي سالم
مستمرة إلى الآن	13 هـ / 19 م	أبو العباس احمد التتخاني	الأغواط	عين ماضي	عين ماضي
استمرت أثناء الثورة	13 هـ / 19 م		ووقلة	مماسين (تقرت)	التجانية
استمرت أثناء الثورة	10 هـ / 16 م	سيدي الحاج يحيى	غرداية	المنيعه	سيدي الحاج يحيى
استمرت أثناء الثورة	10 هـ / 16 م	سيدي الحاج بخص	غرداية	المنيعه	سيدي الحاج بخص
استمرت أثناء الثورة	10 هـ / 16 م	سيدي الزغم	غرداية	متليلي	أولاد عمر موسى
استمرت أثناء الثورة	1318 هـ / 1900 م	سيدي موسى القبض	غرداية	متليلي	سيدي موسى القبض
استمرت أثناء الثورة	11 هـ / 17 م		بنتار	بني عباس	سيد احمد بن موسى
استمرت أثناء الثورة	1270 هـ / 1862 م	محمد المختار بن الأعمش	تندوف	تندوف	لعمش
استمرت أثناء الثورة	1342 هـ / 1923 م	مختار بن قناني	إيليزي	جانت	زبوز
استمرت أثناء الثورة	1358 هـ / 1939 م	أبو ناصر	إيليزي	جانت	جاهيل

ز- زوايا توات وإقليمها¹

الزاوية .	مقرها	الولاية	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
تسفارت	تيمون	أدرار	سيدي موسى والمسيود	ق 9 هـ / 15 م	استمرت بعد الثورة
سيدي الحاج بالقاسم	تيمون	أدرار	س-يدي الحاج بالقاسم	ق 10 هـ / 16 م	استمرت بعد الثورة
تمصلح	تيمون	أدرار	سيدي الحاج بو محمد	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
مدريال	كرارة - الثورارة	أدرار	الحاج الصوفي بن الحاج بن محمد	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
سيدي عمر	أوقس - ثورارة	أدرار	سيدي عمر بن صالح	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
أولاد وشن	تيمي - توات	أدرار	مولاي سليمان بن علي	ق 7 هـ / 13 م	استمرت بعد الثورة
بو علي	توات	أدرار	محمد بن عبد الكريم المغيلي	ق 9 هـ / 15 م	استمرت بعد الثورة
سيدي حيدة	توات	أدرار	سيدي احمد بن عبد الله		استمرت بعد الثورة

[1- جمعية الأنجاءت والدراسات التاريخية بأدرار ، في منشغى أيام 14- 15- 16 ماي 1998 بالمركز الثقافي في مدينة أدرار .

استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	سيدي علي بن حنفي	أدرار	توات	زاحلوا
استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	سيدي محمد السام بن عبد القادر	أدرار	توات	امراق
استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	سيدي عبد القادر بن عمر	أدرار	تمنطيط - توات	سيدي عبد القادر
استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	سيدي احمد بن عمر البداوي	أدرار	بودة - توات	الشيخ
استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	سيدي أحمد بن محمد الرقادي	أدرار	توات	كنه
استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	مولاي عبد الله الرقاني	أدرار	توات	رقاد
استمرت بعد الثورة	ق 11 هـ / 17 م	سيدي احمد بن يوسف	أدرار	تيمي - توات	تيلار
استمرت بعد الثورة	ق 12 هـ / 18 م	سيدي البكري بن عبد الكريم	أدرار	تيمي - توات	البكرية
استمرت بعد الثورة	ق 12 هـ / 18 م	سيدي عمر بن عبد الرحمن	أدرار	تيمي - توات	مهدية
استمرت بعد الثورة	ق 12 هـ / 18 م	سيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم	أدرار	تيديكلت	مولاي هبة
استمرت بعد الثورة	ق 12 هـ / 18 م	سيدي احمد بونعامة	أدرار	فلي - تيديكلت	بونعامة

4- سياسة الاحتلال الثقافي وتصدي الزوايا لها

لقد حارب الاستعمار الفرنسي في الجزائر الثقافة الوطنية ، ولما كانت اللغة العربية هي وعاء هذه الثقافة ، فقد ركز الاحتلال حربه عليها ، لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الشخصية الجزائرية ، وتنفيذا لهذه السياسة ، قام الاحتلال بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة بالجزائر ، فأبعدوها عن الإدارة ، وعن المدارس النظامية ، حيث أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة العمل الرسمي ، والتعليم النظامي ، ولغة وسائل الإعلام ، ومختلف النشاطات الثقافية . وتماشيا مع سياسة الفرنسة والإدماج حاول الاحتلال أيضا القضاء على معظم مراكز الإشعاع الثقافية العربية الإسلامية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا ، التي كانت قائمة في البلاد آنذاك فحول بعضها إلى معاهد للثقافة الفرنسية ، وسلم بعضها الآخر إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها المستهدف هدم عقيدة الجزائريين المسلمين كما قام بهدم البعض الآخر تماما . فقد ذكر د. رابح تركي على سبيل المثال : أنه " كان في مدينة قسنطينة قبل احتلالها عام

1837 ، ثمانون مدرسة ، وسبعة معاهد ، وثلاثمائة مدرسة وزاوية في منطقتها، لم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاثين مدرسة فقط"¹.

وقد نهب الاحتلال التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية ، مثل المخطوطات والوثائق والكتب ، هذا فضلا عن المكتبات والكتب الأخرى التي أحرقتها أو بعثرها ، كما فعل بمكتبة الأمير عبد القادر ، قائد المقاومة الجزائرية . واستولى الاستعمار على الأوقاف الإسلامية للزوايا التي كانت تقوم بالإتفاق على التعليم والثقافة والشؤون الاجتماعية للمسلمين. وحارب الاحتلال حركة التعليم العربي الحر حربا لا هوادة فيها ، فوضع شروطا قاسية لإعطاء رخص التعليم للمعلمين الذين أودوا وسجنوا ، واضطهدوا² .

كما قام هذا الاحتلال بمحاربة النوادي الإسلامية والصحافة الوطنية باعتبارها من وسائل الثقافة العربية الإسلامية . ورغم كل ذلك كله فقد استطاعت بعض الزوايا البسيطة الباقية أن تنجح في التصدي لسياسة الاحتلال الثقافي وأن تحافظ على الثقافة العربية الإسلامية كما سيأتي في الدور التعليمي للزوايا .

¹ - رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 93

² - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 45-46 .

أ- سياسة الفرنسية والتصدي لها بالمحافظة على اللغة العربية

إن محاولة فرض الفرنسية على الجزائريين من طرف الاستعمار، هي التي تفسر تلك الحرب الضارية التي شنتها على اللغة العربية وثقافتها ، والواقع أن سياسة الفرنسية الشاملة التي سار عليها الاحتلال في التعليم بالنسبة للجزائريين ، لم تقتصر على ميدان التعليم في مختلف مراحله . من مناهج ونظم ، وكتب ، ولغة تدريس ، وإدارة تعليمية ، وتوجيه عام فحسب ، ولكنها شملت كل مجالات الحياة الاجتماعية ، والثقافية والإدارية في البلاد¹ .

وكان الهدف منها هو محاولة صبغ البلاد ، بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة وكبيرة ، حتى تنقطع جميع الروابط ، التي تربط الجزائر ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها ولغتها العربية، وتاريخها الإسلامي ، وانتمائها الحضاري إلى الأمة العربية ، وحتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة ، في ظل هذه السياسة المرسومة ، نشأة ممسوخة في كل شيء ومقطوعة من جذورها الأصلية لأنه لا يوجد شيء في الحياة العامة بالجزائر ، يذكرها بماضي الأسلاف

¹ - رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 105 .

والوطن، وبذلك تصبح اسهل انقيادا للسياسة الفرنسية ، وأكثر تقبلا لنتائجها وعواقبها الوخيمة على الشخصية الوطنية الجزائرية ، وبصفة عامة يمكن إجمال الخطوات العامة لسياسة فرنسا في التعليم والثقافة في الأمور التالية:

- محاربة اللغة العربية ، والثقافة العربية محاربة عنيفة .
- فرنسة التعليم في جميع المراحل .
- محاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام .
- عدم تدريس جغرافية الجزائر للجزائريين ، والاستعاضة عنها بجغرافية فرنسا .

وباعتبار أن اللغة العربية ، هي لسان الإسلام ، وانتماء ثقافي وحضاري ومقوم للشخصية الوطنية الراضية للاستعمار ، ولما كان هدف التعليم بالزوايا عن قصد أو غير قصد - يتمثل في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية ورفض سياسة الفرنسية التي سار عليها الاحتلال في الجزائر ، لذلك اتجه التعليم اتجاها لغويا ودينيا بصورة رئيسية ، لأن القضية الأساسية التي أصبحت الشغل الشاغل للمجتمع الجزائري يومئذ هي ضرورة الوقوف في وجه سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء على مقومات الشخصية الوطنية بكل الوسائل الممكنة .

ومن هنا يمكن القول ، أن تعليم الزوايا قد نجح نجاحا كبيرا في تحقيق هذا المقوم الأساسي من مقومات الشخصية الجزائرية ، وهو المحافظة على اللغة العربية وتعليم مختلف فنونها من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، ونشرها بين أبناء الجزائر ، لا سيما في المناطق الريفية . تلك هي المواد الأساسية لبرامج التعليم في الزوايا إلى جانب تحفيظ القرآن والأحاديث .

ب- سياسة التنصير والتصدي لها بالمحافظة على الدين الإسلامي

يعتبر التنصير محاولة لإخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي، وإدخالهم في دين النصرانية كي يصبحوا مسيحيين يحملون عقيدة المحتل لبلادهم . وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر ، حتى ينهار مقوم آخر من مقومات الشخصية الوطنية ، وهو " الإسلام " . وقد تجلت سياسة تنصير الجزائريين ، في أن فرنسا صرحت غداة احتلالها لعاصمة البلاد عام (1830) بأن من جملة أهدافها ، من وراء عملية غزو الجزائر العمل على نشر المسيحية فيها ، والقضاء على الإسلام ، وهو ما أكدته كاتب الحاكم الفرنسي العام للجزائر عام 1832 ، فقال : " إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه

الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أي حال ، بأنها
قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد . أما العرب فلن يكونوا
رعايا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا " ¹

وقد أعاد المحتلون تأكيد هذه السياسة في مناسبات عديدة ،
منها أثناء احتفالهم سنة 1930 بمرور مائة عام على احتلال الجزائر ،
حيث قالوا : " إن المغزى الحقيقي من وراء إقامة هذه الاحتفالات
، إنما هو تشجيع جنازة الإسلام في الجزائر " ² .

ورغم أن فرنسا دولة ((لائكية)) أي علمانية ،
كما ينص دستورها ، إلا أنها في الجزائر احتضنت سياسة تبشيرية
واسعة النطاق لتنصير الجزائريين ، وتعاونت تعاوناً كبيراً مع الهيئات
التبشيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم ، من أجل القضاء على
الإسلام ، الذي وقف حجر عثرة في طريق محاولاتها لتحطيم
مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية . وقد دعمت
الحكومات الفرنسية المتعاقبة رجال الدين النصارى ، بالمال ،

¹ - عمر فروخ ومصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ،
بيروت 1953 .

² - محمد البشير الإبراهيمي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة عدد 21 ،
1966 ، ص 147 .

والتأييد الأدبي ، كي يتمكنوا من الترويج للنصرانية في الجزائر ،
والقضاء على الإسلام فيها .

ويوضح ذلك أن شؤون الدين الإسلامي ، ظلت منذ بداية
الاحتلال عام 1830 حتى خروج الاستعمار الفرنسي من الجزائر
عام 1962 خاضعة للسيطرة الاستعمارية كما أن فرنسا
بادرت ، منذ الأيام الأولى للاحتلال ، إلى الاستيلاء على أوقاف
الدين الإسلامي وإلى تحويل عدد كبير من مساجد وجوامع الجزائر ،
إلى كنائس لغرض التنصير¹ ، رغم معارضة الجزائريين لذلك
ومقاومتهم الشديدة لهذا الاعتداء على حرمة الإسلام
ومقدساته .

وحيث أن الزوايا كانت تعتبر حصونا للعقيدة والإيمان ،
ومراكز لتحفيظ القرآن ، وتعليم الدين فقد ركزت أيضا على
تعليم اللغة العربية بهدف تعليم الدين ونشره ، وفهم القرآن وما
يتصل به من علوم التشريع والأخلاق والعقائد والتفسير والحديث
وإلى غير ذلك من علوم الدين واللغة ، وبذلك عملت الزوايا على
الأبقاء على مبادئ الشخصية العربية الإسلامية ، ومقاومة سياسة

¹ - رابع تركي ، المرجع السابق ، ص 108 .

التنصير ، وساهمت في حماية المجتمع من الدوبان في ثقافة المحتل وعقيدته .

ج- سياسة الإدماج والتصدي لها بالمحافظة على الروابط العربية الإسلامية

تعني سياسة الإدماج إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام وبذلك لن تقوم للجزائر كجزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي قائمة في يوم من الأيام بعد أن ينسلخ الجزائريون من دينهم ولغتهم وجنسياتهم ، وبالتالي من حضارتهم العربية الإسلامية ويجتثوا اجتثاثا، كما وقع للعرب المسلمين في الأندلس منذ قرون .

فقد كانت سياسة الاحتلال منذ البداية تخطط لدمج الجزائر في فرنسا عن طريق ربطها سياسيا وإداريا بفرنسا، وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا في الشخصية الفرنسية، وبذلك يتم القضاء على الشخصية الجزائرية تدريجيا، حتى تذوب نهائيا في الشخصية الفرنسية .

ورغم أن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر قد قامت على ثلاث ركائز : هي الفرنسية والتنصير والإدماج ، إلى أنها في التطبيق العملي لم تفتح أبواب التعليم الفرنسي في وجه الجزائريين إلا في نطاق محدود جدا على خلاف ما يقتضيه منطق الإدماج ، وذلك لأن المستعمرين كانوا يرون " أن الأعداء

المستنيرين اخطر عليهم من الأعداء الذين يعيشون في حالة من
الهمجية " ¹ ، وهذا عامل مهم في تمثين روابط المجتمع بالزوايا
والتعليم العربي فيها .

وكذلك المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية . فقد حققت
الزوايا من هذه الناحية نجاحا كبيرا ، في الإبقاء على الروابط الثقافية
والحضارية ، بين الجزائر والعالم العربي الإسلامي . وبذلك
ساهمت الزوايا في القضاء على سياسة الاستعمار ، التي
تهدف إلى ربط الجزائر بثقافة فرنسا وحضارتها ، وأفشلت مرة
أخرى سياسة الإدماج الفرنسي .

ومن هنا يتبين أن سياسة فرنسا الإحتلالية ، قد بنيت منذ
البداية على أساس القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ،
والعمل على محاولة تحويل المجتمع الجزائري ، في المدى البعيد من
مجتمع مناهض للاستعمار ، إلى مجتمع راض على الوضع
الاستعماري لبلاده ، ولديه القابلية للفرنسة والإدماج في مجتمع
دولة الإحتلال ، بذلك تتمكن دولة الإحتلال من السيطرة
المطلقة والدائمة على الجزائر والجزائريين .

¹ رابع تركي ، المرجع السابق ، ص 112 .

كما يتأكد أن الزوايا لم تكن دائما مراكز لنشر
التخلف كما يروج لها أحيانا ولم يكن التعليم بها جامدا دائما ،
بل استطاعت أن تقاوم المسخ الاستعماري وبذلك حافظت على
المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية ، وعملت على
الإبقاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية خلال فترة الاحتلال ،
وساهمت كذلك في الإبقاء على الروابط الثقافية والحضارية بين
الجزائر والعالم العربي الإسلامي. كما ساهمت في القضاء على
الاتجاهات المنحرفة، تلك الاتجاهات التي كانت تحاول ربط الجزائر
بفرنسا وثقافتها وحضارتها ، ودمج الجزائر في الكيان الفرنسي
العام، وسيدكر التاريخ هذا الفضل للزوايا وعلمائها إلى آخر
الدهر .

5- دور الزوايا في نشر العلم

. تعتبر الزوايا ، كما أسلفنا ، مراكز العلم والثقافة العربية
الإسلامية بالجزائر ، ومأوى الطرق الصوفية والنشاط الديني خاصة،
كما كانت أيضا مدارس وملاجئ وبيوتا للعمل الخيري ، ولكنها
اختصت أكثر بتحفيظ القرآن ، وتعليم ما يستلزمه من العلوم
اللغوية والشرعية والتاريخية .

وفي هذا المجال ، يقول أحمد توفيق المدني : " لسبب
الطرق الصوفية بقطرنا هذا (الجزائر) مزية تاريخية لا يستطيع أن

ينكرها حتى المكابر ، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام
هذه البلاد في عصور الجهل و الظلمات ، وعمل رجالها العاملون
الأولون على تأسيس الزوايا ، يرجعون فيها الضالين إلى سواء
السبيل ويقومون بتعليم الناشئين ، وبث العلم في صدور الرجال ،
ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها ، والتي نقف أمامها موقف
المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعريضة
ولا لعلوم الدين " ¹ . وشأن الزوايا في جنوب
الجزائر ، لقد لعب دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية ،
حتى في الأقطار المجاورة للجزائر ، جنوب الصحراء الكبرى وتخرج
منها العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم ² .

كما قال : "د. عبد الله ركيبي " : ((بقي نوع آخر من
التعليم وهو الخاص بالزوايا ، والذي يرجع إليه الفضل في الحفاظ
على اللغة العربية وعلومها ، وهو تعليم كان يسير على المناهج
القديمة التي تعطي الأولوية لعلوم اللسان والدين (.....)

¹ - أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، دار الكتاب / دار المعارف 1963 ،
ص 350 - 351 .

² - محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، مطبعة التعاون
دمشق 1965 ، ج 1 ، ص 49-50

وتتلخص طرق هذت النوع من التعليم في تحفيظ القرآن وقراءته ثم حفظ المتون - متون النحو والصرف والفقه والتوحيد))¹ .

والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية ، وثانوية ، ومعاهد علمية عالية في آن واحد ، فكانت إلى عهد قريب من المراكز الهامة التي حفظت اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية من الاندثار في الجزائر خاصة خلال فترة الاحتلال الطويلة 1830 - 1962² . وقد ذكر ، " د. أبو القاسم سعد الله " أن الزاوية الناصرية ، بجامعة الكبير ومدرستها ، بخنقة سيدي ناجي قد أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد . وكانت موئل علماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة و زواوة ، بل وتونس وطرابلس أيضا ، وكانت المدرسة بها حين زارها الدكتور سعد الله وهي ما تزال قائمة ، تحتوي على خمسة عشرة غرفة ، وتضم كل غرفة خمسة إلى عشرة طلاب ، وذكر د. سعد الله أنه في إحدى هذه الغرف درس الشيخ المرحوم أحمد السرحاني تلميذ

¹ - عبد الله ركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث ، الجزائر ، (ش . و .

ن . ت) 1981 ، ص 30

² - رابع تركي ، المرجع السابق ، ص 245 .

ابن باديس ، وقد قيل أن من طلبها أيضا الشيخ المرحوم العربي
التبسي¹ .

وفي منطقة زواوة ، ذكر " أمقران يسلي " في رسالته الجامعية
عن الزوايا في بلاد القبائل² ، أن الطلبة كانوا يطلبون القرآن
في الزاوية الأم " زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي " . أما الفقه ،
فكانوا يدرسونه في الزوايا الأخرى ، كزاوية " تيفريت نايت
الحاج " . وهذا يدل على وجود تخصص في علم بعينه عند
بعض الزوايا ، يتولى تدريسه علماء متخصصون أيضا ، ومن هؤلاء
: الشيخ الشريف الإفليسي ، الفقيه المالكي الذي قضى في هذه
الزاوية ثلاثة عشر سنة مدرسا وواعضا ، والشيخ السعيد
الزلالي المعروف بتضلعه في الفقه أيضا ، ثم الشيخ السعيد
اليجوري ، النحوي الذي لقبه الأستاذ بن باديس بشباب الشيوخ ،
ثم الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ الجنادي الذي انتقل من هذه
الزاوية سنة 1282 هـ / 1882م إلى تونس ، وهناك عينه بعض
الأعيان شيخا ومربيا لأولاده ، وقام بالمهمة أحسن قيام إلى أن
توفي هناك . ثم الشيخ أفطر الفقيه القرآني وكان خطاطا بارعا نسخ

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية

للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 261

² - أمقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 80 - 81 .

تسعا وتسعين مصحفا بخط يده ، ثم الشيخ أبو القاسم البسوجلي الذي كان مدرسا في زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي ، وأحد مؤسسيها ، والشيخ الحاج عمرو أو فضة أحد تلامذة الشيخ عبد الرحمن والشيخ علي أو الخيار ، ثم الشيخ محمد الطيب الأقروبيسي ، والشيخ الرزقي الشرفاوي الأزهري ، الذي انتصب للتدريس في هذه الزاوية خلال الثلاثينيات من هذا القرن . فهذه وفرة من العلماء كانوا جميعهم مدرسين بالزاويتين المذكورتين .

وفي عهد الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ الشريف الجنادي عرفت زاوية سيدي " اليلولي " تطورا ملحوظا تمثل في تهذيب أساليب التدريس بها ، فكانت بذلك قبلة للطلاب والعلماء ، ولذلك فإن ما يقال عن التعليم الباديبي بالجامع الأخضر في مدينة قسنطينة ، يمكن أن يقال أيضا عن هذه الزاوية ، بحيث كان التعليم فيها متطورا ومنظما ، مسايرا لنظام التعليم في بعض الجامعات الإسلامية .

وذكر " فرج محمود فرج " في أطروحته " إقليم توات " ¹ ، أن بعض فقهاء توات ، كانوا يبنون الزوايا ويتخذونها أماكن للخلوة والتعبد ، إلى جانب تخصيص أجزاء منها للتدريس ، وكان

¹ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 87 - 89 .

الكثير من الطلبة الذين يرغبون في مواصلة تعليمهم ، يقصدون المشايخ بتلك الناحية للتعلم على أيديهم ، وبعد أن تنقضي مدة الدراسة والتحصيل يمنحونهم الإجازات العلمية والأدبية ، بعد ملازمتهم إياهم زمنا طويلا ، وإطلاعهم على أمهات الكتب التي تتعلق بآداب الدين وأسباب التزليل ، والفقه والتفسير وغيرها ، بجانب ما يأخذونه عن شيوخهم من شتى العلوم المعقولة والمنقولة . ومن هؤلاء الطلبة من سافر إلى الخارج أيضا للحصول على الإجازات العلمية والأدبية الرفيعة من كبار العلماء في الأقطار العربية الأخرى ثم عاد بعضهم إلى توات ، بعد أن أصبح من كبار العلماء ، الذين تولوا مناصب القضاء والإفتاء والتدريس بالإقليم التواتي .

فهذه إذن نظرة سريعة على ما كانت تختص به الزوايا من التعليم العالي الذي لا يقتصر على حفظ القرآن الكريم واستظهاره ، بل يتعداه إلى مدارس علومه وآدابه وأسباب نزوله وإلى العلوم الشرعية الكثيرة بقصد التفقه في الدين .

6- تنظيمات الزوايا

أ- موارد الزوايا

من عادة الطلبة أنهم لا يدرسون في مدتهم أو جهاتهم ، بل يتعدون عن مواطنهم فيقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهر فيها

بعض المدرسين ، أو اشتهرت هي بأنها قد أخرجت عددا من العلماء¹ . ثم إن معظم هؤلاء الطلبة يعدون السفر في طلب العلم جهادا وعبادة يتقربون بها لله عز وجل ، ولهذا كثرت الرحلة في طلب العلم .

ففي إقليم توات بالصحراء الجزائرية ، كان يلحق ببعض الزوايا أماكن لإقامة الطلبة ، الذين يأتون من هنا وهناك لتلقي العلم، ومع كل منهم مؤونته من القمح والشعير والتمر والخطب أو على الأقل ما يكفيه بعض الوقت ، إلى أن يأتيه بعد ذلك مدد آخر من المؤونة من أسرته ، وهكذا معيشة الطالب حتى نهاية المرحلة الدراسية ، وفي نفس الوقت ، كان على ولي أمر كل طالب أن يدفع مصاريف تعليم ابنه لفقير الزاوية . أما بالنسبة للطلبة الفقراء ، فكانوا يمنحون منحة دراسية من ريع الأملاك الموقوفة التي أوقفها الأثرياء من التواتيين في سبيل الله ، مما كان له أفضل الأثر في مساعدة الكثير من الطلبة الفقراء الذين يعجزون عن مواصلة دراستهم لأسباب مادية² .

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 348 .

² - فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 87 .

أما في المناطق الشمالية من الجزائر ، فتعتمد الزوايا من ناحية التمويل على التبرعات ، التي تتلقاها من السكان ، على اختلاف أنواع هذه التبرعات كما تعتمد على الزكاة ، والأوقاف التي يوقفها عليها أهل البر والإحسان ، ولا تتلقى أية مساعدة من حكومة الاحتلال من أي نوع كانت ¹ .

وفي منطقة القبائل ، تعتمد الزوايا في تمويلها على المساعدات التي يقدمها المحسنون من الأغنياء ، في شكل نقودا أو بضائع أو مواد غذائية كالحبوب والزيت أو الزيتون والحيوانات والأدوات والألبسة والمفروشات ، وغيرها . ذلك بالإضافة إلى الأوقاف الإسلامية ، التي يوقفها الناس عليها ، وتمثل في الأراضي الزراعية وحقول الأشجار المثمرة ، والغلال كالتين والزيتون والخروب، والمحلات التجارية ، والحمامات المعدنية في الأرياف ² . وكان طلبة الزوايا يتولون فلاحة أراضي الزاوية هذه بأنفسهم ويجنون الثمار لصالح الزاوية ويستغلون ملكية الزاوية التي منها يعيشون أثناء الدراسة بها .

¹ - رابع تركي ، المرجع السابق ، ص 310 .

² - يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 " مجلة الثقافة " عدد 63 ، السنة 11 ، ماي / جوان 1981 ، ص 23 .

هذه الأوقاف تزود الزوايا بالمواد والأموال اللازمة لاحتياجاتها المختلفة . كالتغذية والإنارة والتنظيف والتبويض والتأثيث والصيانة ، والإنفاق على الطلبة ومعيشتهم ، وتغطية أجور المشايخ العاملين بالزاوية . وللزاوية مصدر تمويل آخر يتمثل في عوائد الزيارات والوعود والنذور التي يقدمها الزوار ، من الإخوان والأتباع والمريدين ، على شكل نقود وبضائع ومواد غذائية متنوعة وألبسة .

وتختلف كمية العائدات على كل زاوية ومقاديرها وأنواعها ، حسب اختلاف أهمية الزائرين ، ومصادر أموالهم وثرواتهم ، ومدى تقديرهم للزيارة ، وللزاوية والشيخ العامل بها - وهذه الظاهرة لا تختص بها فقط منطقة القبائل ، بل موجودة ومنتشرة في أغلب جهات الجزائر - و السبب في ذلك يعود إلى قوة تأثير الزاوية الروحي وشيخها على العامة . وكثيرا ما كانت تبعث هذه الزوايا وفودا من طلبتها وتلاميذها والمشرفين عليها إلى القرى الجاوة ، وأحيانا إلى منطقة أخرى بعيدة ، لجمع أموال الصدقات والزيارات وخاصة في مواسم معينة ، مثل موسم جني الزيتون في

الشتاء ، وموسم جني الحبوب في الصيف ، وموسم إخراج الزكاة في مناسبتي عاشورا والمولد النبوي الشريف¹ .

فالزاوية لها أهمية كبيرة ، بالنسبة لسكان الناحية ، وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى دورها الديني والثقافي الذي تضطلع به ، وبفضل هذه الأموال والهبات المتنوعة التي تجود بها أيدي المؤمنين المحسنين ، تتولى هذه المؤسسات الدينية والثقافية الإنفاق على طلبه العلم ، والقائمين عليها كما تتولى أيضا إطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل² .

وذكر " د . أبو القاسم سعد الله " ³ أن الوقف يعتبر من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية . فهو أساسا يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي.

ويقوم الوقف على مبدأ شرعي وصبغة قضائية ملزمة ، فالقاضي عادة هو الذي يقوم بتحرير الوقف يكتبه بصيغة معينة ،

¹ - سعيد بن الزكري الجنادي الزواوي ، أوضح دلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل ، مطبعة فونتانة ، الجزائر 1903 ، ص 73 .

² - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 76 - 78 .

³ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 229 - 233 .

وبحضور الواقف والشهود ، مع تحديد قيمة الوقف ، وتعيين أغراضه ، وكيفية الاستفادة منه ، وانتقاله ، وعوامل نموه ، وتخصيص المشرفين عليه وشروطهم ، مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الحاضرين والقاضي . فللوقف إذن وثيقة شرعية ، يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه وكذلك السلطة المسلمة الشرعية .

وأنواع الوقف كثيرة ، فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار أو نحو ذلك ، وبعضهم كان يوقف عينا أو بشرا لأبناء السبيل ، ومن يوقف غلة حقل من الحقول ، أو غلة مجموعة من الأشجار دون أرضها وهلم جرا ...

ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة ، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء ، والعجزة واليتامى وأبناء السبيل ، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والقيام عليها .

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية ، فهو مصدر العيش لطلاب الزوايا وعمارة المساجد ، وغيرهما من المؤسسات الدينية ، ومن جهة أخرى لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الاجتماعية ، بتضامن المجتمع وترابطه ، وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة منه .

والواقفون في الجزائر لا حصر لهم ، بجنس أو طبقة أو مذهب ، لذلك يوجد فيهم الرجل والمرأة . ولعل الفرق بين واقف وآخر هو النية الحسنة والثروة . والفقراء قلما يوقفون ، لأنهم أنفسهم كانوا في حاجة إلى مداخيل الوقف ، وهكذا كاد الوقف ينحصر في طبقة الأغنياء ومتوسطي الحال . والوازع وراء الوقف عند هؤلاء جميعا ، هو وازع الخير والحماس للدين وخدمة العلم ، وإصلاح المجتمع . وأحيانا كان الوازع هو السمعة الطيبة والرغبة في الخلود والذكر الحسن في الحياة أو بعد الممات ، وقد كان الوازع أحيانا أخرى ماديا ، كابتعاد الثروة عن بعض الورثة ، أو الاحتفاظ بها تحت اسم الوقف . حتى لا تقول إلى الدولة التي كانت تستولي على الأملاك التي لا ورثة لها . وفي هذا السياق قال الدكتور " رابح تركي " : ((من المعروف أن التعليم العربي الإسلامي ، كان قبل الاحتلال يعتمد في بقائه ، وازدهاره ، على الأوقاف الإسلامية ، التي كانت من الكثرة والثروة ، بحيث يكفي دخولها للإتفاق عليه بسخاء كبير . وكانت الجزائر من أغنى الأوطان الإسلامية ، بالأوقاف قبل الاحتلال . وكان في مدينة الجزائر وحدها ثمانية آلاف عقار ، تابعة للأوقاف الإسلامية ، لم يبق منها عقار واحد ، بعد دخول الاحتلال إلى الجزائر سنة 1830 . لأنه صادرها جميعا منذ الأيام الأولى . ومنذ ذلك الوقت أصبح

التعليم العربي يعتمد في بقائه ونشاطه على التبرعات الشعبية وحدها، سواء كانت نقدية أو عينية^١ .

ب. نظام التسيير بالزوايا

القائمون على الزوايا

يشرف على تسيير الزاوية شيخ الزاوية ، ويكون عادة صاحب الطريقة أو من تلاميذ الشيخ المتوفي وهو الذي يعطي الأوراد للمريدين (وهم أتباع الطريقة) . وتقوم الزاوية على أكتاف هؤلاء المردتين والمحسنين، فهم الذين يمولونها، ويجمعون الزكاة والصدقات والتبرعات من العامة والخاصة، ويقدمونها لشيخ الزاوية .

وشيوخ الزاوية هو المسؤول المباشر على زاويته ، وهو صاحب الحل والعقد فيها وكلمته في تسيير الزاوية وتجهيزها لا ترد : فهو صاحب الزاوية ، وقد يكون هو المؤسس أو من أبنائه أو أحفاده، أو من بعض القائمين بأمره .

والأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة ، يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه ، وهو

^١ - رابع تركي ، المرجع السابق ، ص 310

الذي ينفق على الزاوية ، ويوفر للطلبة كل حاجاتهم اللازمة . وشيخ الزاوية هو الذي يضع لها القوانين التي يراها صالحة لتسييرها ، وتعتبر هذه القوانين مجموعة من التقاليد والعادات والأعراف السائدة في الزاوية: كالزاوية الرحمانية بآيت اسماعيل ، والزاوية التيجانية بعين ماض ، والزاوية القاسمية بالهامل ، وزاوية الحملاوي بقسنطينة ، وزاوية ابن سحنون في اغزار امقران ، وزاوية الشيخ أبي القاسم البوجلليل ، وزاوية الشيخ الحمامي بمنطقة القبائل وغيرها كثير تقدم سردها .

وصاحب الزاوية عادة يشارك في التدريس ويقرر طرق التدريس ومستوياته ومناهجه ، والمواد التي تدرس للطلبة . فإذا مات شيخ الزاوية وجب أن يخلفه أحد أفراد عائلته، أو أحد المساعدين له ممن كان يرى فيهم الكفاءة في مجال الرأي والعلم ، إما عن طريق الوصاية أو عن طريق الاختيار¹ .

وللطلبة مقدم ، يختاره شيخ الزاوية من بين قدماء طلبة الزاوية الذين يرى فيهم القدرة والاستقامة ، فيكلفه بالمراقبة وتسيير شؤون الطلبة ومراقبتهم ويكون هذا المقدم منفذا لأوامر الشيخ ، وهو مكلف بالتسيير ومراقبة أخلاق الطلبة وسلوكهم داخل الزاوية

¹ - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 103 - 106 .

ونحارجها ومراعاة أوقاف القراءة ، ويلاحظ من تخلف منهم عن الصف في أوقات القراءة أو الدرس ، أو عن صلاة الجماعة ، أو قراءة حزب الراتب ونحو ذلك ، فهو المسؤول على كل ما يجري داخل الزاوية ، وله كلمة مسموعة سواء لدى الطلبة أو لدى رئيس الزاوية ، كما يتولى ضمان إعداد المواد الغذائية اللازمة لكل أسبوع ، ويساعده في كل ذلك الوكيل ، ومهمته السهر على نظافة الزاوية والمسجد وحجرات الدراسة وغيرها من بنايات الزاوية¹ .

الطلاب

إن أعمار التلاميذ المترددين على الكتاتيب تتراوح بين السادسة والرابعة عشرة ، وفي السن الأخيرة يكون التلميذ النابه قد ختم القرآن الكريم مرة أو عدة مرات ، وتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين وأوليات الحساب ، وبعد ذلك يدخل الطالب حياة جديدة ، فهو إما أن يدخل ميدان العمل المهني كالتجارة مثلاً ، وإما أن يصبح بدوره مؤدباً للصبيان وإما أن ينتمي إلى الزاوية ويتابع حينئذ دراسته بها للمزيد من التعليم وتحصيل مختلف العلوم على شيوخها .

١ - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 72 .

وللزواية نظام داخلي مجاني، فالطالب لا يدفع شيئاً مقابل تعلمه ومسكنه وأكله، والزواية هي التي تتكفل بجميع النفقات ما عدا اللباس . ويربى الطالب في الزواية على خشونة العيش والاعتماد على نفسه في جميع شؤونه ، فهو يحضر طعامه بنفسه ، ويطحن القمح والشعير ويغربل الدقيق ، ويعجن الخبز ، ويفتل الطعام ، وينظف مسكنه ومجلسه ولباسه ، ويشارك في جميع الأعمال التي تقوم بها الزواية ، وغالبا ما ينام على حصير الحلفاء ، ويتغطي في الليل ببرنسه الذي يلبسه في النهار ، والطالب في الزواية لا ينام إلا قليلا فهو يستيقظ في آخر الليل قبل طلوع الفجر ، وذلك لقراءة القرآن والأوراد والأدعية .

وكذلك يربى الطالب في الزواية على التفاني في طلب العلم ، والزهد في العيش وحب النظام ، والتزام الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن ، فالطالب فيها يحاسب ويعاقب عن جميع التصرفات السيئة أو مخالفته لعرف الزواية ونظامها . والعقاب فيه ثلاثة أنواع :

- لعقاب الخفيف وهو بدني ، وهو عقاب من تخلف عن صلاة الجماعة أو تغيب في وقت القراءة بلا عذر أو أخل بأداب السلوك العام .

- لعقاب المتوسط وهو مالي إذ يلزم الطالب في حالات التدخين ، والتجسس والنميمة والسب والشتم والاعتداء ، وفي كل الأعمال التي تؤذي الآخرين .

- أخيرا العقاب الشديد وهو النفي من الزاوية ، وهذا النوع يطبق على مرتكب إحدى الكبائر ، كازنا واللواط والسرقه ، وشرب الخمر¹ .

المدرسون

ومن الطبيعي أن يكون عمدة التعليم بالزاوية هو صاحب الزاوية أو شيخها نفسه. فهو موجه التعليم ، وناشر العلم بين الناس² بلسانه وكتابات وآرائه وسلوكه ، وهو الإمام في الصلوات ، ويكون محل تقدير الأهالي وثقتهم ، يستفتونه في شؤون الدين ، ويستكتبونه العقود ونحوها ، ويلجأون إليه في المهمات كالفتن والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية وقد يختار شيخ الزاوية لمهمة التدريس شيخا آخر معه ، أو أكثر من شيخ واحد ويكون الشيخ المختار لهذه المهمة من أهل التقى والصلاح ومشهودا له بالأخلاق الفاضلة ، ومن الطبيعي أن يكون حافظا للقرآن

¹ محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 111 - 115 .

الكريم ، معروفًا بأداء الصلوات الخمس في أوقاتها وأن يكون ممن يقرأ الرسائل ويكتبها ونحو ذلك مما يعد ضمن الخدمة العامة.

وكانت حلقات الدرس موئل الطلبة والعلماء الآخرين الذين يرغبون في زيادة معارفهم ، ونيل الإجازات بعد ختمة البرنامج ، وكانت شهرة المدرس وتخصصه في فرع معين أو عدة فروع مختلفة وأيضًا في فصاحة اللسان هي التي تجلب إليه الطلبة حتى تتضخم الحلقة التي تصدرها .

وكان المدرسون يلجأون إلى توفير الإملاءات لطلابهم ، فتتج من ذلك عدد من التقايد والخواشي والشروح، وهي جميعًا تتحول إلى تأليف في مختلف الفروع . ولا يمكن عد جميع المدرسين متصوفة ، لا ينتظرون من عملهم في التعليم جزاء ولا شكورًا ، فقد كان منهم على عكس ذلك من يحرص على تأمين قوته وكسب معاشه ، سواء عن طريق الأوقاف، أو عن طريق الهدايا والعطايا التي تجود بها أيدي المحسنين من وقت لآخر ، وفي مناسبات معينة أهمها : شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى . وهذه الأشياء التي يتحصل عليها المدرسون تتمثل في المبالغ المالية والثياب والزيت والحلويات والقمح والزيتون واللحم ونحوها . ورغم أن مهنة التعليم كانت تعتبر من أشرف المهن

وأقربها إلى الدين والجهاد في سبيل الله ، فإنها أيضا تعتبر من أكثر
المهن فقرا لصاحبها وجلبا للتعاسة والبؤس¹

ج - نظام التعليم بالزوايا

الالتحاق بالزاوية

عندما يرغب الطالب في الانحاق بالزاوية ، يطلب منه
السيرة الحسنة ، والرغبة القوية في التعليم ، وحفظ شيء من القرآن
الكريم ، ثم يجتمع الطلبة بطلب من المقدم وبحضور شيخ الزاوية ،
فيقرؤون الفاتحة للطالب الجديد ، ويدعون له بالخير والنجاح ،
وذلك هو القبول . فإذا انتمى الطالب إلى الزاوية أصبح من طلابها
ويعرف باسمه وينسب إلى بلدته أو مكان ميلاده ، أو قبيلته أو
قريته² .

والزاوية مفتوحة لكل الطلاب الراغبين في العلم ، وليس
هناك حواجز في السن ، وليس فيها اختبار عند الدخول ولا
يجدد امتحان محدد في النهاية ، وطالب الزاوية يطلب العلم لمعرفة
دينه ، وفهم أحكام الشريعة الإسلامية ، لذلك فله أن يغادرها متى
شاء ، ويعود إليها متى شاء أيضا .

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 324 - 334 .

² - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 74 .

فإذا كان الطالب فقيرا أو قادما من مكان بعيد أعطى سكنا في الزاوية ، وقد لا يجد السكن في الزاوية ولكنه يجد فيها الطعام . كما أنه قد لا يجد الطعام وإنما يجد السكن في الزاوية ، لأن كل ذلك خاضع لإمكانات الزاوية من هدايا الناس إليها ومداخلها . ومن عادة الطلبة أنهم لا يدرسون في مدتهم أو جهاتهم ، بل يتعدون عن مواطنهم ، فيقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهر فيها بعض المدرسين أو اشتهرت هي بأنها قد أخرجت عددا من العلماء ¹ وذاع صيتهم في النواحي ، فتلك هي فريضة طلب العلم في نظر الناس .

وعندما يدخل الطالب مكان الدرس للمرة الأولى ، يجد الشيخ أو الشيوخ المدرسين وحولهم الطلاب في حلقات تامة أو نصف دائرية ، وكل مدرس يهتم بحلقة معينة ويتناول مسألة أو كتابا معينة أيضا يدرس فيه ، فإذا كان الطالب قد كون فكرة واضحة عن مدرس بعينه قبل مجيئه إلى الزاوية فإنه يقصده مباشرة ويجلس إلى حلقاته ويتابع دراسته معه في المادة أو المواد التي يدرسها هذا الشيخ ، إذ أن بعضهم كان يدرس أكثر من مادة واحدة ولكنه قد يشتهر بواحدة . أما إذا جاء الطالب وهو لا يدري

١ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 348 .

عمن سيدرس فإنه يجلس إلى المدرسين عدة مرات حتى يستقر رأيه على واحد منهم أو أكثر يتابع دروسه عندهم مدة قد تطول وقد تقصر بحسب حاجته إلى علم المدرس وقدرته على الاستيعاب والفهم ، ولكنه متى كان من الطلاب النجباء فإنه يحصل على إجازة من المدرس عند نهاية الحلقة التدريسية أو عند ختمه للمصنف موضوع الدرس .

منهج الدراسة

كان بعض المدرسين يلقي دروسه ثلاث مرات في اليوم الواحد، كما أن بعضهم كان يلقيها في الصباح فقط ، أو بعد الظهر فقط ، أو مرتين في النهار ، وقد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طول النهار . ومهما كان الأمر فإن معظم السدروس كانت في الصباح وبعد صلاة العصر .

وبالتدرج ترتبط علاقة وطيدة بين الطالب والشيخ المدرس ، ذلك أن الشيخ هو الذي ينصح تلميذه بكيفية القراءة ، وبالكتب التي عليه أن يدرسها ، وبطريقة تحضير الدرس ، وبالمتون التي عليه حفظها ، ونحو ذلك مما له علاقة ببرنامج التدريس .

وكان الفرق بين مدرس وآخر ، في نظر الطالب ، بالاضافة إلى العامل النفسي ، هو سيطرة المدرس على مادته ومدى حفظه لها ولفروعها ، ومدى فصاحة لسانه وقوة شخصيته وإخلاصه في

مهنته . وفي ضوء هذا كله كان الطالب يقرر الاستمرار مع الشيخ المدرس أو الانتقال إلى مدرس آخر ، أو حتى إلى زاوية أخرى . وكثير من الطلاب كانوا يغيرون وجهتهم بعد وفاة شيخهم أو هجرته ، فقد كانت الرابطة قوية بين الطالب والشيخ لدرجة أنها أحيانا تغير مجرى حياة الطالب وتؤثر على مستقبله¹ . وسبب ذلك أن هذه الرابطة هي روحية بالأساس .

وكانت ميزة الدروس التي تلقى في الزوايا من نوع الشروح و الأمالي ، فقد كان لكل مدرس مسمع يقرأ له النص أو جزءا من الكتاب المقرر ، ثم يأخذ الشيخ في شرح المسألة وتوضيحها والاستشهاد لها من محفوظه ومعقوله . وقد لا ينتهي الشيخ المدرس من المسألة في نفس الجلسة ، فإن ميزة المدرس الناجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات ومن عدة وجوه ، وكلما أطال الشيخ المدرس في المسألة وتشعب وأفاض فيها ، كان ذلك من دلائل نجاحه و غزارة علمه وهو يختم درسه في العادة بإملاء خلاصات على الطلاب . فينسخونها بحذق وعناية . كما أن الطلاب أنفسهم يسجلون الدرس كله إذا كان الشيخ المدرس واسع العلم غير متقيد بالمنقول والمسموع من المسائل ،

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 349

فإن الطلاب في هذه الحالة يصبحون حريصين أكثر على ألا تفوتهم شاردة أو واردة من كلام شيخهم ، وبذلك يسهمون بدورهم في حركة التأليف رواية عن شيخهم¹ .

ويحدث أن تنقطع علاقة الطالب بشيخه لغدة اعتبارات، منها وفاة الشيخ ومنها انقطاع الطالب عن الدراسة لظروف خارجة عن إرادته ، وكذلك ختم الشيخ موضوع الدرس أو الكتاب أو رغبة الطالب نفسه في متابعة دروسه في مستويات أخرى ، قد تكون خارج الجزائر أحيانا.

وكثير من الطلاب كانوا لا يصلون بدراستهم إلى نهايتها، ذلك أن البرنامج نفسه غير محدد ، فيكتفي الطالب بما تعلمه في الزاوية ، ويتولى الإمامة أو تأديب الصبيان في مدينته أو قريته ومنهم من ينصرف إلى الفلاحة أو التجارة أو الأعمال الأخرى. وهذا النوع من التعليم لا ينتهي بشهادة أو نحوها ، وأقصى ما يطمح إليه الطالب المجتهد والطموح هو حصوله على إجازة مكتوبة أو شفوية من شيخه وتعني الإجازة تسريح الطالب ورضى شيخه عنه بأن يتولى تدريس علمه لمن يشاء وأنه مؤهل لحمل هذه الأمانة العلمية من بعده أو نيابة عنه وتكفي شهادة الشيخ في

¹ - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 350

المجالس بنجابه الطالب الفولاني حتى يطير ذكره في الأسماع ويصير
عالما في تلك الناحية بانتمائيه إلى علم الشيخ .

المواد المدروسة

كان التعليم في بعض الزوايا متدرجا في ثلاث مراحل، وهي
على سبيل التقريب¹ .

1. مرحلة المبتدئين ، وفيها كان الطلبة يدرسون القواعد
النحوية، وكتب الأجرومية ، وملحقة الإعراب ، والأزهرية.
ويدرسون في مادة الفقه الإسلامي : كتب ابن عاشر ، ورسالة
ابن أبي زيد القيرواني بجزأيهما ، إلى جانب بعض الكتب في التوحيد
والبلاغة والأدب .

2. مرحلة المتوسطين (المستوى الثانوي) ، وفيها كان الطلبة
يدرسون القواعد في كتب : قطر الندى ، وشذور
الذهب، وشرح المكودي على الألفية . أما في الفقه فكتاب الشيخ
خليل في الفقه المالكي ، وهذا بعد حفظ القرآن كله حفظا جيدا² .

¹ - رابع تركي ، المرجع السابق ، ص 275 .

² - محمد علي دبوز ، المرجع السابق ، ص 60 .

3. مرحلة المنتهين (القسم العالي) ، وفيها يدرس الطلبة تفسير القرآن في كتاب تفسير الواحدي ، والحديث في كتاب ابن أبي حمزة في شرح الأحاديث النبوية ، ويدرسون الفقه في كتاب الدردير على الشيخ خليل ، والقواعد في كتب ابن عقيل على الألفية ، والأشموني ، وشرح ابن يعيش على المفصل . وهذا دون إهمال العلوم المتصلة بالمواد المذكورة ، ففي تلك المراحل ، يدرس الطلبة أيضا أصول الفقه ، وشيئا من التاريخ الإسلامي ، والسيرة النبوية . كما يدرسون المنطق لصلته بعلم التوحيد ، والحساب لعلاقته الوثيقة بعلم المواريث ، والفلك لمعرفة أوقات العبادات ، وهكذا

ولكن معظم الزوايا التي كانت قائمة بالتعليم ليس لها نظم تعليمية موحدة سواء من ناحية المناهج ، والكتب التعليمية ، والمواد الدراسية وسنوات الدراسة ومراحلها أو من حيث أعمار الطلاب ومستواهم العلمي ، وإنما كان التعليم يسير فيها بحسب ما يمكن اعتباره ، العرف والتقاليد في كل زاوية ، فكان الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر وقد تطول ، يدرسون خلالها العلوم الدينية واللغوية ، وبعض كتب التاريخ والسيرة ، وما يتعلق بذلك كما أسلفنا

وهذه العلوم والمواد التعليمية وكتبها المنصوص عليها أحيانا¹
كانت شائعة عندئذ في مختلف الزوايا - وقد يوجد بعضها في زاوية
ولا يوجد بعضها في الأخرى - وهي إجمالا تتمثل فيما يلي :

- العلوم الدينية

- تفسير القرآن الكريم بعدة كتب منها تفسير الثعالبي وتفسير
السيوطي .

- القراءات بمنظومة الجزري والحراز .

- الحديث الشريف، وخصوصا صحيح البخاري الذي كان
يقرأ كثيرا .

- مصطلح الحديث بألفية العراقي .

- الفقه المالكي برسالة ابن أبي زيد القيرواني والشروح على
الشيخ خليل .

- أصول الفقه وأصول الدين بجمع الجوامع للسبكي ومختصر
ابن الحاجب .

- التوحيد أو علم الكلام بالمنظومة الجزائرية (نسبة إلى أحمد
بن عبد الله الجزائري) وعقائد السنوسي الثلاث .

١- أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 356-358 .

- التصوف بدراسة حكم ابن عطاء الله وكتاب إسقاط التدبير له أيضا .

- وخارج حلقات الدرس، سيطر على المجالس القرآن الكريم، والكتب المشبعة بالأفكار الدينية والعبادات والأوراد، مثل دليل الخيرات وتنبيه الأنام .

وليس معنى هذا أن الدروس كانت تشمل جميع هذه العلوم والمواد فقد سبقت الإشارة إلى أن بعض المجالس كانت مقتصرة على علوم ومواد خاصة ، وإن الطلاب كانوا يختارون كما يشاءون المدرسين وحلقات الدرس ، والمواد الدراسية.

- العلوم اللغوية

- النحو بالأجرومية وألفية ابن مالك وشرحها كالمكودي .
- الصرف بلامية ابن مالك في التصريف .
- فقه اللغة .
- البلاغة بجمهرة الأخضري ، وحواشي السعد التفتزاني ومتمنه ، وتلخيص المفتاح .
- العروض بالخزرجية مع شرحها للشريف الغرناطي .
- الأدب نصوصا وتاريخا .
- السيرة والأخبار .
- الخط .

- العلوم المحضة

- المنطق بالسلم المرونق للأخضري ، وتهذيب السعد والجمل
للخونجي ، ومختصر السنوسي .

- الحساب .

- الفرائض .

- علم الفلك لأبي مقرر بالسراج للأخضري .

ورغم سيطرة العلوم الدينية واللغوية على التعليم ، فإن بعض المدرسين كانوا يهتمون بالعلوم المحضة ، فكان يسدرس الحساب لفهم العمليات الأربع وممارسة التجارة ، والفرائض لمعرفة قسمة التركات ونحوها ، والفلك لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة والهلal ، ونحو ذلك ، والمنطق لعلاقته بالتوحيد .

7- نماذج من الزوايا التعليمية

أ- اوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي

الموقع والتأسيس

تقع زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بجبال جرجرة، في عرش " يلولة " أو " يلولن "، ناحية عزازقة، ولاية تيزي وزو .

أسس هذه الزاوية سيدي عبد الرحمن بن يسعد المصباحي
الخردوشي اليلولي الزواوي ، ولد حوالي 1030 هـ / 1620 م
في قرية أخردوشن ببلدة " يلولة " (او مالو) ناحية عزازقة ،
وتوفي عام 1105 هـ / 1694 م. ودفن قرب زاويته . اشتهر سيدي
عبد الرحمن بالتقوى والعلم والعمل الصالح وكان متبحرا في علوم
القرآن ، ولا سيما في حفظ القرآن وتجويده ، بالإضافة إلى معرفته
بالقراءات ، وقد تخرج على يد علماء مشهورون بالناحية والذين
بدورهم تخرجت عليهم مجموعة أخرى من الفقهاء والمقرئين .

درس الشيخ عبد الرحمن اليلولي على الشيخ محمد السعيد
البهلولي المدفون في غابة مزرانة بناحية دلس ، والذي أخذ بدوره
العلم عن شيخه عبد الرحمن القاضي الفاسي ، ودرس هذا الأخير
على الإمام الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الأندلسي ،
صاحب الدر الثمين ومورد الضمآن في القراءات للخراز¹ .

نظام التسيير

لم يترك الشيخ عبد الرحمن زاويته للأقارب والورثة ، بل تركها
تحت تصرف طلبة العلم ، ووضع حدا لتدخل الورثة في شؤون

¹ - سعيد بن زكري ، المرجع السابق ، ص 43- 55 .

زاويته ، وتركها مفتوحة لكل طالب علم ولكل الوافدين إليها ،
عن طريق التسيير الجماعي من قبل طلاب الزاوية أنفسهم .

وللزاوية رئيسان متعاونان ، أحدهما مكلف بشؤون الإدارة
يسمى مقدم الثمن ، والآخر مكلف بشؤون التعليم ويسمى
مقدم العسكر . وهذا النظام كان معمولاً به في الزاوية منذ
تأسيسها في القرن 11هـ - 17م ، واستمر إلى سنة 1956 م حين
أوقفت سلطات الاحتلال نشاطها التعليمي وخربتها بعد ذلك

ويتولى تسيير الزاوية مجلس يتكون من اثني عشر عضواً
من طلبة الزاوية، ويسمى هؤلاء الأعضاء " بالقدامى " . وهذا
المجلس نفسه هو الذي يختار أعضاءه ويرشحهم عندما ينقص عضواً
أو عضوان أو أكثر ، بسبب ترك الزاوية ، أو الوفاة ، أو
الإبعاد، أو العجز ، أو التهاون أو السلوك ، أو غير ذلك . ويتداول
أعضاء المجلس المسؤولية والتسيير بالتناوب ، فالمجلس يعين عضوين
يتوليان مهام التسيير ، وهما : مقدم الثمن ، يعين لمدة شهر كامل ،
ومقدم العسكر يعين لمدة نصف شهر ، وتحدد المهام لكل واحد
منهما .

فمقدم الثمن يتولى شؤون المالية والتمويل ، وكل ما يتصل
بالجانب المادي والمواد الغذائية ، ومراقبة أرزاق الزاوية، وتخزين
الحبوب والمحافظة عليها ، كالقمح والشعير والبتن بالإضافة إلى

الزيت وغير ذلك ، وفي كل يوم يخرج مقدار الطعام حسب عدد الطلبة . وعندما يقسم الطعام على الطلبة في الغذاء أو العشاء يكون تحت إشراف مقدم الثمن ومراقبته أيضا . أما مقدم العسكر فمهامه محصورة في شؤون التعليم والتنظيم ومراقبة سلوك الطلبة والسهر على شؤونهم ومصالحهم ، ومعاقبة المخالفين للنظام وجميع أعضاء مجلس التسيير متساوون مع بقية الطلبة في الحقوق والواجبات ، وفي المأكل والمسكن والعمل لا فضل لهم ولا ميزة لأحد على أحد ، الميزة الوحيدة بين الطلبة هي العلم والاجتهاد والأخلاق الفاضلة¹ .

نظام الدراسة بالزاوية اليلولية

تتم زاوية سيدي عبد الرحمن بتحفيظ القرآن الكريم أكثر من غيره ، إذ تأسست على طريقة صاحبها في ذلك ، وهي قراءة القرآن الكريم وتجويده بمختلف الروايات في فن القراءات ، وعلى طريقة الإتقان والأحكام والضبط ، حتى حصلت لطلابها ملكة راسخة في الحفظ والرسم والرواية بلفظه ورسمه .

كان طلبة الزاوية يخصصون جزءا كبيرا من الليل لقراءة القرآن كالحفظ والمراجعة والمطالعة. وكان مقدم العسكر يوقف

¹ - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 124 .

الطلبة في آخر الليل لقراءة حزب من القرآن تلاوة ، حتى إذا أذن للفجر يقومون للصلاة، فإذا قضيت الصلاة رجعوا إلى الحلقة لقراءة الحزب .

وبعد ذلك يشتغل الطلبة بمحو الألواح وكتابتها ، وهم موزعون جماعات جماعات هنا وهناك ، مجتمعين في شكل حلقات حول حفاظ القرآن الذين يملون عليهم ما يكتبون ، فإذا انتهى الطلبة من كتابة ألواحهم قدموا ما كتبوا للحفاظ لتصحيح الأخطاء.

ولعل هذا الاهتمام برسم القرآن وحفظه لا يوجد بهذا القدر من العناية في غيرها من الزوايا المجاورة ، ولذلك كان حرص الطلبة عليه شديدا و قويا ، بخلاف الفقه لأنه يوجد في غيرها من الزوايا الأخرى¹ ، أما القرآن فاشتدت رغبة الطلبة في الإقبال عليه بالزاوية الليلية ، حتى كان يصل أحيانا عددهم إلى 80 طالبا في فصل الصيف ويرتفع هذا العدد إلى (200) طالب في فصل الخريف والشتاء والربيع لقلة الحاجة إليهم في أعمال الحقول .

واستمر الأمر في هذه الزاوية على هذا النمط زمنا، ثم عرف التعليم بها تطورا ملحوظا - تمثل في تهذيب أساليب

¹ - يسلي ، المرجع السابق ، ص 80 .

التدريس، وإدخال علوم إسلامية أخرى كما دخلت العلوم العربية مثل النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق .

النظام الاجتماعي

يعتمد الطلبة على أنفسهم في جميع الأعمال بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي فهم الذين يقومون بمهام جلب الماء، وقطع الحطب ، وطحن الحبوب ، وتحضير الطعام ، وذلك بالتداول اليومي بين مجموعات العمل كما هو جار العمل به في معظم زوايا بلاد القبائل .

ويهتم الطلبة بإكرام الضيوف ، ولا سيما الفقراء منهم وأبناء السبيل الذين يقصدون الزاوية ، ويتناولون الطعام ثلاث مرات في اليوم ، يكون عادة في الغذاء كسكسني بالزيت والبقول أو المسفوف وبعد صلاة العصر يتناولون حبات التين المجفف وفي العشاء يتناولون كسكسني الشعير بالمرق ، أما خبز القمح الخالص أو الخبز المعروف في المخابز فلا يؤكلان إلا في بعض الأوقات والمناسبات النادرة .

ولا يرتاح الطلبة من أعباء الدراسة والمهام إلا أيام العطلة . فهناك عطلة أسبوعية تبدأ مساء الأربعاء بعد صلاة العصر، وتنتهي يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ، بالإضافة إلى عطلة عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعاشوراء، والمولد النبوي ، ثم العطلة

الكبرى، وهي العطلة الصيفية ، لتتوقف الدروس ويتفرق الطلبة ،
فمعظمهم يغادر الزاوية ، ولا يبقى فيها إلا القليل ممن ليس لديهم
من يعولهم ، ولا يعود تجمع الطلبة بالزاوية إلا في شهر سبتمبر من
كل عام .

مساهمة الزاوية

كانت الزاوية محط رحال العلماء والدارسين من مختلف أنحاء
القطر الجزائري وقد أدت خدمة عظيمة في الحركة العلمية
والإصلاح الديني بالبلاد ، فأنجبت خيرة العلماء الذين ما أن
تخرجوا منها حتى عادوا إلى قراهم وأوطانهم ينشرون العلوم
والمعارف، وانتصبوا للتعليم في الزوايا والمدارس والكتاتيب القرآنية،
وعمروا المساجد ، وقاوموا حركة التبشير الصليبي التي اشتد
وطؤها على هذه المنطقة .

ولما كانت زاوية سيدي عبد الرحمن بهذه الصفة فقد تحولت
إلى ملجأ للشوار والمجاهدين أثناء حرب التحرير ، لذلك قام الاحتلال
الفرنسي بتهديمها وإحراق كنوزها من المخطوطات والتأليف ،
وتوقيف نشاطها العلمي والثقافي والتربوي عام 1957 م¹ .

¹ - نسيب ، المرجع السابق ، ص 125 - 126 .

أسماء بعض الشيوخ المدرسين بالزاوية اليلولية¹

كثير من الشيوخ الذين قاموا بالتدريس في زاوية اليلولي كانوا من طلبتها ، أو تتلمذوا على شيوخها ونخص بالذكر بعض الذين قاموا بالتدريس في هذه الزاوية وهم :

- أفطر (محمد بن عنتر البتروني) الحرزوني ، الفقيه ، دفين الزاوية اليلولية .
- محمد بن علي بن مالك التقابي ، المتوفي عام 1855 م .
- عبد الله بن الخراط اليعلاوي المتوفي عام 1858 م .
- العربي الأخداشي اليتورغي ، المتوفي عام 1863 م .
- أبو القاسم الحسيني البوجليلي المتوفي عام 1899م
- محمد الطاهر بن الشريف الجنادي الزيتوني (انتقل إلى تونس عام 1882 م)
- محمد بن يحيى اليراتي .
- محمد بن بسعة .
- السعيد الزلالي ، المتضلع في علوم الفقه .
- الحاج عمر أو فضة الفقيه .

¹ - نسيب ، نفسه ، ص 148 - 149 .

- يسلي ، المرجع السابق ، ص 80 - 81 .

- علي أو الخيار الفقيه من القبائل الصغرى .
- محمد الطيب الأقربوسي .
- الطاهر القيطوسي الحضيري اليلولي ، المتوفي عام 1903 م .
- الشريف الإفليسي البحري ، المتوفي عام 1918 م .
- الصادق البسكري الجنادي ، المتوفي عام 1928 ودفن الزاوية اليلولية .
- الرزقي الشرفاوي الأزهري المتوفي عام 1944م
- المولود الحافظي الأزهري المتوفي عام 1947 م
- السعيد اليجري النحوي المتوفي عام 1951 م
- محمد القاضي المسيسي الصدوقي المتوفي عام 1966 م من قرية صدوق .
- الطيب الشنتيري العباسي من قرية بني عباس بنواحي أقبوا .
- عبد القادر الزيتوني .
- محمد الشريف المسيسي الصدوقي، من قرية صدوق أيضا .
- الصادق الصدقاوي¹ .

¹ - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 118- 149 .

ب- زاوية الهامل

لموقع والتأسيس

تقع الزاوية في قرية الهامل ، بجبال أولاد نايل إلى الجنوب من مدينة بوسعادة ، ولقد أسسها على الطريقة الرحمانية الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد بن سائب بن منصور ، بن عبد الرحيم بن أيوب ، أحد أجداد شرفة الهامل¹ .

ولد الشيخ محمد بن أبي القاسم في الحامدية ببادية الهامل عام 1239 هـ / 1823 م ، وتعلم في قرية الهامل على يد أحد علماء الشرفة هو سيدي محمد بن عبد القادر ، وكان ذكيا² ، حفظ القرآن في سن مبكرة ، وانتقل بعد ذلك إلى منطقة البيان حيث زاوية سيدي علي الطيار لمواصلة تعليمه ، فأتقن القراءات السبع وفن التجويد على يد أحد شيوخها هو سيدي الصادق .

ثم توجه الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى زاوية السعيد بن أبي داود بأقبوا في جبال جرجرة ، وفيها لازم الشيخ سيدي أحمد

¹ - الحاج مزارى ، الهامل ، المطبعة العصرية بلوزداد ، الجزائر 1993 ، ص

47 - 7

² - أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، ص 345 - 351 .

بن أبي داود ، فأخذ عنه علوم الشريعة ، وبرع في المذهب المالكي وأصوله ، وعلم التفسير ، وعلم الكلام ، والنحو والصرف ، والبلاغة ، والفلك ، والحساب ، حتى صار يساعد شيخه في التدريس ، إلى أن منحه شيخه الإجازة ، وأمره بالتوجه إلى زاوية ابن أبي التقى ، فكان مدرسا ممتازا ، وواعضا للعامة.، وموجهها دينيا بارعا .

وبرغبة من مربطي الهامل ، عاد الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى قرية الهامل عام 1265 هـ / 1848 م ليبدأ التدريس بجامع الحاج ، ولما تكاثر عليه الطلاب قام ببناء الزاوية عام 1279 هـ / 1862 م¹ .

إدارة الزاوية

وبعد وفاة مؤسس الزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم عام 1315 هـ / 1898 م تولت إدارتها ابنته الوحيدة ذات الصيت الكبير : زينب العالمة ، ثم من بعدها ، تعاقب على إدارة الزاوية مشايخ علماء ، أمثال : محمد بن الحاج أحمد ، والمختار بن الحاج أحمد ، وبلقاسم بن الحاج أحمد ، وأحمد بن الحاج محمد ،

¹ - عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، بيروت ، المكتبة التجارية ،

ومصطفى بن الحاج احمد ، وحسن بن الحاج احمد و خليل بن مصطفى .

أهمية الزاوية ودورها التعليمي

بلغت الزاوية الرحمانية بالهامل شأنًا عظيمًا كشهرة مؤسسها، فعبقريته العلمية ، وبراعته وحكمته ، هي التي جعلت الزاوية يأمنها الطلبة والزوار من مختلف جهات الوطن ، لقد كان الشيخ محمد بن أبي القاسم مقدر للعلم والعلماء ، وكان من الموجهين الدينيين والوعاظ القادرين ، مما جعله يحقق للزاوية صيتا واسعا .

وبالإضافة إلى الدور الثقافي والديني ، فإن الزاوية كانت مركز التقاء للأعراس المجاورة ، ومحط رحال أولاد نائل لفك خصوصاتهم، والتآلف بينهم ، وتزويدهم بالمعارف الدينية ، كما كانت مأوى للعجزة والمحرومين .

وصارت زاوية الهامل مركز إشعاع علمي وديني ، ومعلما نيرا في المنطقة ، ارتاده في الفترة الممتدة من 1883 إلى 1885 م ما بين 200 إلى 300 طالب سنويا ، كان يدرسهم مشايخ مجازون ومهرة ، بلغ عددهم خلال نفس الفترة اثنا عشر مدرسا ، في مختلف المعارف والعلوم¹ .

¹ - الحاج مزارى ، المرجع السابق ، ص 31 .

لقد قامت زاوية الهامل بأعمال البر والجهاد الوطني في الميدان الثقافي والديني فأفادت فائدة كبرى ، ونشرت العلم والدين ، وصارت من أوتاد العربية والإسلام ، فلم يستطع الاستعمار القضاء عليها ، ونبغ فيها علماء صالحون كانوا حماة الدين ، وجندا مخلصين لنهضة الجزائر الحديثة¹ .

وبذلك كانت زاوية الهامل مصدر إشعاع للفكر الديني الإسلامي ، ورمزا من رموز الثقافة المتأصلة ونموذجا للزوايا الصالحة ، التي خدمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية طيلة العهد الاستعماري وبعده .

المواد الدراسية

كان يعلم الطلبة مشايخ اختصوا في مختلف فروع المعرفة والعلوم أبرزها : التفسير ، الحديث ، مصطلح الحديث ، الفقه المالكي ، أصول الفقه ، أصول الدين ، التصوف ، التوحيد ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، الأدب ، هذه في العلوم الشرعية واللغوية ، بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالسيرة ، التاريخ ، الحساب ، الفرائض ، الفلك ، وقد استمر التعليم بالزاوية على هذا النحو حتى بعد الاستقلال .

¹ - محمد علي دبور ، المرجع السابق ، ص 46 - 81 .

بعض خريجي زاوية الهامل وأشهرهم

- محمد بن عبد الرحمن الديسي ، الأديب ، تعلم وعلم بالزاوية.
- محمد أبي القاسم الحفناوي ، صاحب كتاب تعريف الخلف
برجال السلف .
- محمد بن الحاج امحمد ، صاحب كتاب الزهر الباسم .
- المختار بن الحاج امحمد ، تولى شيخة الزاوية .
- بلقاسم بن الحاج امحمد ، تولى مشيخة الزاوية .
- محمد الصديق الديسي ، عالم جليل .
- محمد المكي القاسمي ، من العلماء الفطاحل .
- محمد بن عزوز القاسمي ، صاحب مؤلفات ورسائل عدة .
- عبد الحفيظ القاسمي ، صاحب ديوان شذى الياسمين .
- مصطفى بن الحاج امحمد ، تولى إدارة الزاوية .
- حسن بن الحاج امحمد ، تولى إدارة الزاوية .
- بومراق الونوغي ، تولى الإفتاء في مدينة الشلف .
- محمد العاصمي ، تولى الإفتاء الحنفي بمدينة الجزائر .
- العيد بوشارب ، تولى الإمامة والإفتاء في بلدة سور الغزلان .
- أحمد بوعود ، تولى القضاء بأفلو .
- المختار بن علي ، تولى القضاء بالجلفة .
- الحاج يعقوب ، تولى القضاء بفرنندة .

- الطيب بن الخضر ، تولى القضاء بسوقر
- الشرفي حسن ، تولى القضاء بمعسكر .
- الربيع بن عطية ، تولى القضاء ببوسعادة.
- محمد بن الربيع تولى القضاء كذلك .
- أحمد بن بريدة عمراوي ، عمل بالزاوية نفسها .
- عبد الرحمن بن البيض ، تولى الإمامة والإفتاء ببوسعادة .
- أحمد مزوز ، تولى الإمامة ببوسعادة .
- أحمد بن رزيق ، تولى الإفتاء .
- عيسى بن بوزيد ، تولى الإمامة والتدريس بالهامل .
- عبد العزيز بن يحيى ، قام بالتدريس في الزاوية ومساجد الهامل.
- محمد العيد بن بهاء الدين قويدري ، عالم ومحقق .
- محمد بن الطالب رزيقي ، تولى الإفتاء ببسكرة .
- عبد السلام التازي ، تولى التدريس في جامع القرويين بالمغرب.
- حميدة الديسي ، تولى التدريس بالحرم النبوي بالمدينة المنورة .
- الحسين بن أحمد البوزيدي ، تولى التدريس بالأزهر .
- العابد بن عبد الله . ومصطفى بن قويدر من أساتذة الشيخ نعيم النعيمي عضو جمعية العلماء .
- الحسين بن المفتي ، تولى القضاء في قفصة بتونس .

أبرز المجازين بزاوية الهامل

- الشيخ المكي بن عزوز ، دفين الاستانة بتركيا .
- الشيخ حمدان الونيسي ، أستاذ الشيخ ابن باديس .
- الشيخ محمد السنوسي التونسي ، صاحب الاستطلاعات البارية .

- الشيخ عاشور الحنفي ، والشيخ عبد الحميد بن سماية من علماء الجزائر أوائل هذا القرن . وغير هؤلاء كثير¹ .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض أن دور الزوايا في تمرير رسالة التعليم العربي والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية كان كبيرا جدا وعلى درجة عالية من الأهمية تجسد بالخصوص في الأعداد الكبيرة من شباب الزوايا الحاملين مشعل الثورة التحريرية التي شعارها " الله أكبر وتحيّا الجزائر " والذين صاروا شهداء هذا الوطن رحمهم الله .

¹ - الحاج مزارقي ، المرجع السابق ، ص 40-47 .

أ- حوار مع الشيخ " مصطفى السنوسي "

الأمين العام للجمعية الوطنية للزوايا

س- هل لكم نشاط بزاوية معينة ؟

ج- أنشط في زاوية الشيخ الحاج بالقاسم السنوسية بزمورة،
في ولاية إغليزان .

س- كيف جاءت علاقتكم بهذه الزاوية ؟

ج- لقد تعلمت فيها القرآن والفقه والألفية (النحو
والصرف)، وأنتمي إليها .

س- من هو أشهر ممن تعلمتم عليهم ؟

ج- لشيخ الحاج بالقاسم السنوسي الحراثي (1925-1974)،
كان واعضا ومرشدا ، ويعلم الفقه والتوحيد والنحو والصرف .

س- من درس عليه غيركم من رجال الفكر والثقافة ؟

ج- تعلم عليه السيد العربي دماغ العتروس ، وزير الثقافة
سابقا ، وغيره .

س- اذكروا لنا شيخا آخر تعلمتم عليه في الزاوية ؟

ج- منهم الشيخ سي الحاج أحمد عتبة بن الشيخ سي الحاج
الجيلالي العطائي .

س- ما هي الوظائف التي شغلتموها من جراء دراستكم
بالزاوية ؟

ج- اشتغلت في سلك التعليم ومارسته مدة 20 سنة . ثم
التحقت بوزارة الشؤون الدينية حتى أصبحت رئيسا لمصلحة التعليم
والتكوين للثقافة الإسلامية، إلى غاية التقاعد .

ب - حوار مع الشيخ " عبد الرحمن بن عبد الكريم
بكر اوي " ناظر الشؤون الدينية بولاية أدرار والمشرف
على خزانة مخطوطات بتمنطيط

س - حسب لقبكم ونشاطكم ، هل تنتمون إلى الزاوية
البكرية في تمنطيط بتوات ؟

ج - نعم ، وتربيت فيها ، وكان حضوري إلى مجالس
العلم بها منذ الصبي

س - ماذا درستم في الزاوية ؟

ج - أخذت مبادئ الفقه والعقيدة والتصوف والنحو،
وكان أهم ما يشدني هو قراءة صحيح البخاري في رمضان
من اليوم الأول إلى اختتامه يوم 26 رمضان

س - ألم تتعلموا في مكان آخر غير هذه الزاوية ؟

ج - بلا ، إلى جانب التعلم في الكتاتيب القرآنية ، انتقلت إلى مدرسة تابعة لزاوية سيدي البكري بقرية نومناس ، على مسافة 18 كلم ، وهناك انقطعت إلى دراسة الفقه والنحو والصرف ((مختصر خليل ، وألفية ابن مالك ، ولامية ابن مالك)) .

س - هل ذكرتم لنا ممن درستهم عليهم في الزاوية ؟

ج - أول من درست عليه هو الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي احمد ديدي البكري ، ثم الشيخ عبد القادر البكراوي الذي أخذ عن والده القاضي وعن الشيخ الكبير .

- جرى الحواران ، في 16/05/1998 وذلك بمناسبة الملتقى الوطني للمخطوطات ، المنعقد في مدينة أدرار ، أيام 14-15-16 ماي 1998

الفصل الثاني

الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر

* التصوف وممارسته

* العلاقة بين التصوف والاحتلال

* الصوفية والدور الوطني

* موقف الاحتلال من الصوفي

1 - مفهوم التصوف وممارسته

لقد تشابهت التعريفات كما تشابهت الدراسات التي تناولت مختلف جوانب التصوف . وفي هذا المجال نذكر ما جاء به " ابن خلدون " ، إذ قال : " وأصله أن طريقة هؤلاء القوم ، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة " ¹ .

وتضيف دائرة المعارف الإسلامية ، مما جاء فيها : " والواقع أن منشأ النزوع إلى التصوف هو ثورة الضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقتصر على ما يصدر عن الآخرين وإنما تنصب أولا وقبل كل شيء على ظلم الإنسان نفسه

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، دار الكتاب

الليثاني ط 2 ، بيروت 1979 ، ص 863

وتقترن هذه الثورة برغبة في الكشف عن الله بأي وسيلة يقويها
تصفية القلب من كل شاغل " ¹ .

، أما عن مصطلح "صوفي" فجمهرة الصوفية يميلون إلى رد
اسمهم إلى الصفاء ، لكن أرجح الأقوال لا تجد لذلك وجهها
ظاهرا في قواعد اللغة ، فبست إلى صوفي إلى الصوف ، وأن
المتصوف مأخوذ منه بقول تصوف إذا لبس الصوف ، وقد اختار
هذا الاشتقاق كبار العلماء من الصوفية ² .

وقد أطلق ، بادئ المر ، لفظ الصوفي والمتصوف مرادفا
للزاهد والعابد ، والفقير ، لأن لبس الصوف في ذلك الوقت ،
مظهر للفقر والزهد .

ثم صار التصوف فيما بعد يدل على ممارسة التطهر ،
والتقشف ، و الابتعاد على مغريات الحياة الدنيا والتخلي
بالاخلاق الفاضلة و الفضائل ، و تجنب المزالق ، و القيام
بالواجبات الشرعية من صلاة و صوم و حج ، ومعرفة الله و شكره و
حمده ، و التضرع اليه في كل وقت ، بالإضافة الى الخلوة لممارسة

¹ - لويس ماسينيون ، " مادة التصوف " ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد

5 ، القاهرة 1933 ، ص 268

² - مصطفى عبد الرازق باشا ، " مادة التصوف " ، المرجع نفسه ، ص

279 .

العبادة و النشاط الروحي ، و كل ذلك من اجل التسامي
والوصول الى الدرجة العليا في القربى الى الله ونيل رضاه .

وفي نظر بعض المتصوفة ، قد تؤدي هذه الدرجة بصاحبها الى
للوصول الى الالهام والكشف و الرؤى و السرحان في عوالم
الاسرار الغامضة .

وقام أئمة التصوف بتحديد طرائقهم و وضعوها على مقتضى
الآداب الصوفية، وانتهت طريقة كل منهم الى أن أصبحت تدل
على الحياة داخل الجماعة الصوفية القائمة على سلسلة من الوصايا
الخاصة¹ .

وتتميز هذه الحياة بالنوافل كالصوم ، والتهجد، وقراءة
القرآن، والذكر ، والرخص الخاصة مثل الزيارة ، و الوظيفة
والحضرة ، و الهدايا .

إذا ، " فالطريقة " هي سلم الوصول الى النجاة و السعادة ،
مع مجموعة من الشعارات والممارسات و الأذكار التي تختلف فيها
كل طريقة عن الأخرى في بعض التفاصيل و العدد والأزمنة ،

¹ - ماسينيون ، " مادة طريقة " ، المرجع السابق ، المجلد 15 ، ص 172-
173 .

وتسمى الطريقة أيضا "وردا"¹ ، و الورد هو الدخول في الطريقة ، ولا يؤخذ إلا من الشيخ أو خليفته أو مقدمه ، وذلك لأن الورد يمثل تعاليم الطريقة وعقيدتها أو مذهبها .

ولكل طريقة صوفية شيخ الطريقة (أو مولى الطريقة) ، وهو حامل البركة ، وهو الذي يعطي البركة لغيره ، وهو الذي يعين خليفته و مقدميه ، ويمنح الاجازات ، وتكون إقامة الشيخ عادة عند ضريح مؤسس الطريقة أو في الزاوية الرئيسية ، و يعتبر الشيخ هو ظل الله في الارض ، وعلى الإخوان (أي الاتباع) الطاعة والامثال لأوامره و توجيهاته.

أما الخليفة فهو المجاز من شيخ الطريقة ، قد منحه البركة وأورثه اياها ، و كلفه بإعطاء الاجازة لغيره ، وكذلك اعطاء الأوراد وادخال المريدين في الطريقة ، وعليه أن ينشر الطريقة و أن يحافظ على سمعتها و مبادئها و أموالها.

وأما المقدمون ، فيمنحهم شيخ الطريقة إجازات مختصرة عادة، وتتعلق بتعاليم الطريقة أو بالتزكية و التوصية ، وهم مكلفون بجمع الزيارات التي يعطيها الإخوان للطريقة ، ثم يسلمونها الى

1 - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، دار الغرب

الاسلامي ، بيروت 1998 ص 17

الشيخ أو خليفته ، كما هم مكلفون باعطاء ورد الطريقة للداخلين الجدد فيها، وكل ذلك يتم حسب طقوس خاصة¹ ، هذا بالإضافة الى اشراف المقدمين على جميع الانشطة الصوفية في مقرهم .

واشتهرت الطرق الصوفية بزواياها ، و لكل طريقة زاوية خاصة تنسب الى الطريقة الأم وتمثل الزاوية خلوة للعبادة الصوفية ، وتقوم بدور الرباط ، وتستعمل الزاوية للاجتماعات و اللقاءات الدورية لأصحاب الطريقة ، وقد تستعمل أيضا للتعليم والصلاة الجامعة وإيواء الضيوف .

2- العلاقة بين التصوف و الاحتلال الفرنسي للجزائر

في الوقت الذي تراجعت فيه السلطة الزمنية في مواجهة الاحتلال الفرنسي للجزائر ، أخذت الجمعيات الصوفية تلعب دورا هاما في احداث المقاومة ، سواء في الميدان الديني أو الاجتماعي أو السياسي .

ولما أنهزم المقاومون و لم يستطيعوا تحقيق النصر و انقاذ البلاد، و ظل الأجنبي محتلا للجزائر ، زاد ارتباط المواطن الجزائري في أحضان الصوفية ، ليعيش في عالم الروح والتخيلات لعله يجد

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 22-23 .

الخلاص على أيدي الشيوخ المتصوفة ، وهو الخلاص الدنيوي من القهر والحرمان و الخلاص الروحي في الآخرة بما فيه من جنة ونعيم. ولكن الجمعيات الصوفية ، قد ظهرت على غير هذا النحو عند غير المتصوفين ، وعلى هذا النحو عند أتباعها في وقت انسدت فيه أبواب الخلاص وانقطعت فيه وسائل المقاومة أو قلت وضعفت ، ووقعت فيه الجزائر فريسة لجيش متوحش ، وقوة استطانية، وقوانين جائرة ، ومخططات ترمي الى سلب الجزائريين هويتهم ودينهم ، وتحولت الجمعيات الصوفية في كثير منها هي أيضا الى جهاز استغلالي في يد السلطة الاحتلالية .

غير أن غشاوة اليأس ، كان يرفعها من وقت لآخر أولئك الأشراف ، وبعض المتصوفة من شيوخ الزوايا الذين يحملون الدعوة الى الجهاد و يرفعون شعلة الحماس و يعطون للعامة روح العمل .

3-الصوفية و الدور الوطني

نقصد بالصوفية تلك الطرق الصوفية التي تعتبر بمثابة جمعيات دينية متماسكة ومتفرعة عن بعضها البعض تقريبا ، و تعتبر الصوفية الموجودة في الجزائر أو ظهرت فيها بمثابة طرق متفرعة عن أصول خارجية ، منها الكثيرة الاتباع و المنتشرة في انحاء كثيرة من البلاد، ومنها المحدودة الاتباع و المكان .

ومن هذا المنطلق أصبح بالامكان ترتيب الطرق الصوفية في
الجزائر حسب قدمها زمنيا ، وفي نفس الوقت لا تطرق إلا تلك
التي كان لها دور وطني بارز في رأينا و حسب ما وجدناه و هي
مايلي ¹ :

أ- القادرية

تنسب القادرية الى العالم المتصوف الشيخ عبد القادر الجيلاني
المتوفي في بغداد عام 561هـ / 1166م ² و هناك توجد الزاوية الأم،
وتعتمد تعاليم القادرية على العلم والاخلاق و الصبر و الاتقان
والصدق، وذكر الله و الخوف منه ، وحب الناس ، والابتعاد عن
شؤون الدنيا .

وتعتبر القادرية بمثابة القاعدة لمختلف الطرق الصوفية التي
جاءت بعدها .

ويعتبر شعيب بن حسين الاندلسي ، المعروف بـ "أبي
مدين" دفين تلمسان و المتوفي بها عام 594 هـ / 1197 م ، هو

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 42- 43

² - عامر هلال ، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب .
إفريقيا السمراء ، الجزائر 1988 ، ص 109 .

الذي أسس مدرسة التصوف السني ، ونشر الطريقة القادرية في المغرب والأندلس ، وانقطع في حياته للعلم والإصلاح والتوحيد .

وفي القرن التاسع عشر ، كان شيخ القادرية في الجزائر ، والتي كانت سباقة في محاربة الاحتلال الفرنسي ، هو الحاج محي الدين (والد الأمير عبد القادر) ، وبعد وفاته خلفه في شؤون القادرية ابنه محمد السعيد (أخو الأمير عبد القادر) .

وبعد هزيمة الأمير عبد القادر أمام الاحتلال الفرنسي ، وانتقاله إلى الشام ، سافر معه أخوه محمد السعيد ، شيخ القادرية ، ثم بعد وفاة محمد السعيد ، خلفه ابنه محمد المرتضي ، في الفرع الجديد ببيروت ، وعكف على نشر العلم وأوراد القادرية ، وكان له تلاميذ في دمشق وبيروت ، وله نظم في المديح النبوي ، ودروس في الوعظ والإرشاد ، وقد قام بشؤون القادرية إلى أن مات عام 1316 هـ / 1902 م

وكانت السلطات الفرنسية مترعجة من قضية الأموال التي كان يرسلها يريدوا القادرية في الجزائر إلى الشيخ محمد المرتضي ببيروت ، وإلى الزاوية الأم في بغداد ، حيث كان خوف الفرنسيين يرجع إلى كون القادرية كانت جسرا للدعاية العثمانية ، وحركة

الجامعة الإسلامية ، وهم يعتبرونها معادية للمسيحية ، سيما وأن الذين ينشطونها هم من أسرة الأمير عبد القادر¹ .

وفي الجزائر ، تفرقت القادرية على قيادات صغيرة ، وانتشرت في مختلف أنحاء القطر ، فكان من رموزها في أواخر القرن التاسع عشر ، كما يلي :

- الشيخ بوتليليس الذي أصبح مقدما للقادرية في نواحي وهران .

-سي الأحول عبد القادر ، في زاوية وادي الخير بين مستغانم وغليزان .

-سي محمد بن عودة في نواحي زمورة بالقرب من غليزان .

-زاوية شلاطة ، وبني عباس بزواوة.

-ابن النحال في زاوية الفجوج بين قالة ووادي الزناتي.

وظهرت فروع أخرى للقادرية في شرق الجزائر وجنوبها، كان لها دور بارز في مقاومة الاحتلال الفرنسي، أثناء غزوه للصحراء ، ومن زوايا شرق الجزائر، أيضا زاوية تبسة ، وزاوية منعة بالأوراس ، المعروفة بزاوية بالعباس .

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 45-57-58 .

ومعظم زوايا الشرق الجزائري والجنوب كانت ذات صلة
بزاوية نفطة في تونس ، وقد وصل تأثير زاوية نفطة ، على يد
شيخها إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي ، إلى عين صالح، وتوات،
وتيديكلت ، وبلاد الطوارق ، كما قام أبناؤه بتأسيس الزوايا
التالية:

-زاوية عميش بوادي سوف، أسسها الهاشمي بن إبراهيم،
ونشط في تجنيد الاتباع ، ونشر القادرية إلى أقصى الجنوب، وربط
علاقات مع السودان، وغات، وجند العديد من أهل سوف
الذين يمارسون التجارة الصحراوية .

-زاوية الرويسات في ضواحي ورقلة ، أسسها محمد الطيب
بن إبراهيم ، ونشر في نواحيها القادرية ، وكان له أتباع في
الأغواط ، وغرداية ، وبين الشعانية .

-زاوية قمار في وادي سوف ، أسسها الحسين بن إبراهيم .

-زاوية صحن الشعانية في وادي سوف ، أسسها محمد الإمام
بن إبراهيم .

وذكرت الاحصائيات ، بصفة عامة ، ان عدد أتباع القادرية
في الجزائر سنة 1897 كان : 33 زاوية ، و558 مقدا، و 24.578
إخوانيا من بينهم 2.695 امرأة (إخوانية).

وفي سنة 1906 ، ارتفع العدد إلى 25.000 إخوانيا ، منهم 2.800 امرأة .

وقد حدث للقادرية ، ما حدث لكل الجمعيات الأخرى في آخر القرن التاسع عشر ، فقد أصبحت جميعها ، تقريبا ، تحت رحمة المخابرات الفرنسية ، والضغط المتعدد الجوانب لكي تعمل وفق إرادة المحتل .

ورغم ذلك ، فإن الشيخ الهاشمي ، مقدم زاوية عميش القادرية، كان متقلب المواقف ، فوقف إلى جانب فرنسا عند إعلان الحرب العالمية الأولى، ثم تحول عنها في مظاهرة معادية لها عام 1918 ، عندما كانت تجند العمال للخدمة في فرنسا ، وحيث انطلقت الإشاعات عن أن هؤلاء المجندين سيلحقون بالجيش فور وصولهم إلى فرنسا ، وكانت المظاهرة أمام مكتب القائد الفرنسي بالوادي ، وكان الشيخ الهاشمي على رأسها شخصا ، مما أدى إلى نفيه إلى تونس بعض الوقت¹ .

وبعد وفاة الشيخ الهاشمي بن إبراهيم عام 1923 ، خلفه ابنه عبد العزيز في مشيخة زاوية عميش القادرية بوادي سوف ، وقد قام الشيخ عبد العزيز بالانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 46 ... 58 .

الجزائريين عام 1937 ، وفتح مدرسة باسمها في زاويته ، وتوجه بالدعوة إلى وفد من الجمعية لزيارة المنطقة ، فكان ذلك من أسباب زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف، ولزيارة زاوية عميش القادرية عام 1937 .

فما كان من السلطات الفرنسية إلا أن أعلنت حالة الطوارئ في المنطقة ، واتهمت الشيخ عبد العزيز بالجنون واعتقلته وزملائه ، من بينهم المعلمين المصلحين عبد القادر الياجوري ، وعلي بن سعد في سجن الكدية بقسنطينة ، واتهمتهم بالإعداد لثورة بالتواطؤ مع جهات أجنبية ، هي إيطاليا وألمانيا¹ .

ب- الشاذلية

تنسب الشاذلية إلى أبي الحسن علي الشاذلي ، الذي ولد في المغرب الأقصى سنة 593 هـ / 1196 م ، وتعلم على الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وأخذ عنه تعاليم التصوف . وابن مشيش نشأ في المغرب الأقصى ، وكان أحد التلاميذ البارزين لأبي مدين

1 - نفسه ، ص 55 .

Rinn (L) Marabouts et khouan , Alger , 1884, p p . 138 – 180 .

-Depont (o) et Coppolani(y) les confréries religieuses musulmanes , Alger , 1897, pp . 367,213, 315.

(شعيب بن حسين الأندلسي) دفين تلمسان ، فنقل عنه التصوف ،
وطريقته التي تعود إلى القادرية .

وبعد ذلك ، توجه أبو الحسن علي الشاذلي إلى قرية شاذلة ،
خارج مدينة تونس ، واختلى فيها بعض الوقت ، ثم توجه إلى مصر
واستقر فيها ، ومات أثناء عودته من الحج إلى مصر ، سنة
656هـ / 1258م¹ .

وكان لأبي الحسن علي الشاذلي طريقة خاصة في التصوف،
وذلك عن طريق ممارسة الأخلاق والفضيلة، والتوحيد.

وتقوم الشاذلية على الرحلة الفكرية ، والتأمل المستمر في
وحدانية الله ، وعلى الهيمان في أرض الله بحثا عن التطهر والتسامي،
وعلى إهمال الذات وقمعها في سبيل الله ، وعلى القيام بالصلوات ،
والواجبات الشرعية في كل وقت ، وفي كل مكان ، وفي كل
الظروف ، لكي يعيش المريد في وحدة دائمة مع الله ، وتتم
الشاذلية بالعلم الروحاني الذي يقود المريد إلى العيش الدائم في ذات
الله .

وفي القرن التاسع عشر ، كان يمثل الشاذلية في الجزائر الشيخ
محمد الموسوم بن محمد بن رقية ، المولود حوالي 1236هـ —

¹ - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 101 - 105 .

1820 م ، وهو من بلدة جندل الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية
لمدينة خميس مليانة .

وبعد أن أخذ الشيخ الموسوم ورد الشاذلية عن الشيخ
عدة بن غلام الله في مازونة ، اتجه إلى جنوب المدية ، وفي
بوغار بأعالي قصر البخاري ، أسس زاوية للشاذلية ، عام 1282
هـ / 1865 م .

وقد كانت زاوية الشيخ الموسوم نموذجا للعمل الصوفي ،
في ظرف شهدت فيه الجزائر الثورات في جميع الجهات ،
وغطرسة السلطات الاحتلالية ، ومحاربة تعليم الدين واللغة العربية
من قبل السلطات الفرنسية ، وصدور مرسومين مشؤومين ضد
الجزائريين وهويتهم : أولهما مرسوم 1863 الذي سهل انتزاع
الأراضي من أصحابها ، وحل النظام القبلي . والرسوم الثاني أعلن
أن الجزائريين رعايا فرنسيون، لا حقوق لهم في الحياة السياسية
والمدينة، ولا جنسية لهم ، إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية .

وكان الشيخ الموسوم بارعا في علوم اللغة والأدب والبلاغة
والفقه وعلم الكلام ، واشتهر بالعلم والتقوى والزهد والغيرة الدينية .
وتفرغ الشيخ الموسوم للوعظ والإرشاد في زاويته بقصر
البخاري، ويعلم مبادئ الدين والتصوف، وكان ذلك وسيلة من
وسيلة في الجهاد ضد الاحتلال .

ورغم رقابة سلطات الاحتلال للشيخ الموسوم في برنامجه التعليمي ، وفي أذكاره الصوفية، فقد تخرج على يده عدد من التلاميذ في العلم والتصوف ، منهم الشيخ محمد الشرقي العطافي ، والشيخ قدور بن محمد بن سليمان المستغامي¹.

وبعد وفاة الشيخ الموسوم عام 1300 هـ / 1883 م ، حمل بركته الصوفية ابنه أحمد المختار ، وخلفه على رأس الزاوية .

لكن الشيخ أحمد المختار، جاء في وقت أخذت فيه السلطات الفرنسية تضيق الخناق على رجال التصوف، وفي نفس الوقت، لم يكن في درجة والده علما وموهبة ، ففرعت الزاوية إلى فروع عديدة في عهده ، ولم تحافظ على وحدتها .

وقد أسس تلاميذ الشيخ الموسوم زوايا فرعية ، لم تكن تدين بالولاء لزاوية قصر البخاري الأم ، ففي مدينة ثنية الأحد ، أسس الشيخ أحمد بن أحمد زاويته ، وكانت تتوسع على حساب الزاوية الأم ، وهناك فرع الشيخ قدور بن محمد بن سليمان المستغامي ، الذي توفي عام 1322 هـ / 1905 م ، ودفن في زاويته ، وكان

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 64 ... 73 .

- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر

1906 ، ج 2 ، ص 330 ، ص 516 .

يشبه شيخه الموسوم في الجمع بين العلم والتصوف ، وفي العطايف كان الشيخ محمد الشرقي العطافي ، المتوفي عام 1341 هـ / 1922م قد استقل بزاويته ولم يعترف بزاوية قصر البخاري الأم .

وقد التقى الشيخ الحفناوي (صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف) بالشيخ أحمد المختار عام 1321هـ / 1904م ، وأخذ منه سيرة والده ، لكن أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان على رأس الزاوية عبد الرحمن بن الموسوم ، ومع ذلك ، لم تزد زاوية قصر البخاري سمعة ، ولم تحافظ حتى ما كانت عليه .

ومن غير ذلك ، كان للشاذلية فروع أخرى منتشرة في البلاد، منها : فرع ناحية اليدوغ ، بالقرب من عنابة ، والذي كان يشرف عليه الشيخ بالقاسم بن الحاج سعيد ، المعروف "بوقشبية" . وجاء في احصائيات عام 1897 ، أنه كان للشاذلية في الجزائر : 11 زاوية ، و99 مقدا، و195 طالبا ، و 14.206 من الأتباع¹ .

وفي أوائل القرن العشرين ، كان من أشهر رجال الشاذلية : الشيخ محمد بن يلس ، المولود بتاريخ 1264 هـ / 1847 م ،

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 75 ... 77 .

Depont et Coppolau, op.cit . pp. 449,451,454.

والذي هاجر مع أسرته من تلمسان إلى دمشق، عام 1330 هـ/1911م، وواصل هناك مشيخة الشاذلية في زاوية يحيى الشاغور، وجلس للتدريس في جامع عز الدين، وفي بيته، وكان له مريدون، وله ديوان شعر، وبعض المؤلفات، ولما توفي الشيخ محمد بن يلس عام 1346 هـ/1927م بدمشق، خلفه في الزاوية، ومشيخة الشاذلية هناك، تلميذه الشيخ محمد الهاشمي التلمساني، الذي هاجر معه أيضا¹.

أما الشاذلية الأم، فمنذ أن انتشرت في المشرق الإسلامي، وفي المغرب، وكثر أتباعها، خرجت منها فروع عديدة، ويعود كل فرع إلى شيخ مؤسس مستقل ينتسب إليه².

ولكن لا يهمنا في هذا المجال إلا الفروع أو الطرق الصوفية، التي لعبت دورا وطنيا، ولو نسبيا، أو التي كان لها زوايا وأتباع في الجزائر في الفترة المحددة، وخوفا من تأثيرها في المجتمع ضد سياسة الاحتلال، قامت السلطات الفرنسية بمحاربتها بشتى الوسائل والأساليب.

¹ . سعد الله، المرجع السابق، ص 80 - 81.

² . Rinn ,op.cit. pp.227...264.

ج- الزروقية واليوسفية

هي إحدى فروع الشاذلية ، وتنسب إلى الشيخ أحمد زروق البرنوسي الفاسي ، دفين مصراته ، والمتوفي عام 899 هـ / 1493 م .

وكان أحمد زروق قد أقام في الجزائر ، وبجاية ، وقسنطينة ، في أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وهو من العلماء المتصوفة ، وكان معلما وفقها .

وكانت الزروقية منتشرة في تلمسان ، وبجاية ، وقسنطينة ، وكان من أنصارها عبد الرحمن الأخضرى ، وعبد الكريم الفكون¹ .

¹ - عبد الرحمن بن محمد الصغير بن بن محمد عامر الخضري ، أديب ، منطقي ، له مشاركة في العلوم ، من أهل بسكرة ، ولد عام 918 هـ / 1512 م ، وتوفي عام 983 هـ / 1575 م ، وضم إليه مشهور في زاوية بنطيوس من قرى بسكرة ، وله كتب في البيان والمنطق .

- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني ، أديب لغوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن ، وكان عالم المغرب الأوسط في عهده . ولد في قسنطينة عام 988 هـ / 1580 م ، وتوفي بها عام 1073 هـ / 1662 م

- أنظر عنهما : - عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، بيروت ، 1971 ص 90 ، 97 .

أما في القرن التاسع عشر ، فكان من انصار الزروقية : الشيخ
الطيب بن الحاج البشير، في ضاحية أولاد طريف بنواحي
البرواقية، والشيخ ابن جدو في مسكيانة (بين عين البيضاء وتبسة).

ودل إحصاء سنة 1897 ، انه كان عدد أتباع الزروقية
2.734 أخوانيا ، موزعين في مناطق محدودة ، كالبرواقية ،
وتابلات ، وسور الغزلان .

ومن تلاميذ الشيخ احمد زروق ، اشتهر أحمد بن يوسف
الملياني ، وهو من قلعة بني راشد ، وتوفي في مليانة ، ودفن
فيها، عام 931هـ/1524 م . كما هو من خريجي مدرسة تلمسان
الفكرية ، وكان للشيخ الملياني اتباع في مليانة ونواحي تلمسان .

وكان الشيخ الملياني حليفا للنظام العثماني ، واستمر أحفاده
كذلك، فتعرضوا لاغتيالات ، بتشجيع من الفرنسيين الذين ينسبون
ذلك إلى خصوم طريقتهم اليوسفية ، وهذا لإبقاء التوتر بين الطرق
الصوفية .

أبو عمران الشيخ وعلي علواش : معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر ، 1995، ص
31، 425 .

فقد أعتيل مصطفى ولد الحاج الساحلي عام 1289 هـ / 1872 م ، وكان قائدا في نواحي تلمسان¹ . ثم تولى القيادة مكانه أخوه الحاج الملياني ، فوقع اغتياله عام 1313 هـ / 1895 م، كما أعتيل أخ لهما عام 1298 هـ / 1881 م .

أما الزاوية اليوسفية ، المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، فكان يتولى شؤونها، في سنة 1315 هـ / 1897 م، الشيخ زروق. وهذا بعد رحيل أخيه الشيخ عبد القادر إلى تلمسان ، لكن الشيخ زروق كان زاهدا متعبدا محتليا بنفسه ، لذلك كان المشرف الفعلي على الزاوية اليوسفية هو أخوه الشيخ مولاي² .

ويدل إحصاء 1897 م ، أن ليس لليوسفية كثير من الأتباع، ويتركز معظمهم في النواحي الغربية من البلاد ، ولها في الجزائر زاوية واحدة ، وخمسة مقدمين ، و1.446 من الإخوان³ .

¹ سعد الله ، المرجع السابق ، ص 79 ، ذكر المكان باسم " طيوط " لكننا لم نعثر إلا على " عين تلوت " بين تلمسان وبلعباس .

² المرجع نفسه ، ص 78 ... 80 .

³ Depont et Coppolani, op .cit.p.459

د - العيساوية

هي فرع من الشاذلية ، وتنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عيسى ، المتوفي عام 931 هـ / 1524 م ، ودفن مكناس في المغرب الأقصى .

وفي عام 978 هـ / 1570 م ، جاء من المغرب الأقصى شخص يدعى علال إلى بلدة وزرة ، قرب مدينة المدية ، وكون أسرة فيها تنسب إلى العيساوية ، وهو من نسل محمد بن عيسى مؤسس زاوية مكناس ، وقد تأسست الزاوية العيساوية في وزرة ، عام 1203 هـ / 1788 م ، على يد أحد أحفاد علال المغربي

وقد اتخذت العيساوية طابعا يختلط فيه الجدد والهزل ، والدين والشعوذة ، وذلك تنفيسا على الروح المكبوتة ، وتفجيرا لما في داخل الإنسان من غم وهم ، ولكن باستخدام وسائل العنف ضد الجسد ، وتبسيط الدين إلى درجة القيام بأعمال السحر والخرافة .

ورغم استنكار المتورين ما يأتي به بعض أتباع العيساوية من ممارسات سلبية ، إلا أن أتباعها كانوا يقومون بأعمال اعتبرها بعضهم مفيدة ، كمدواة المرضى .

ومن الأعمال الوطنية التي قامت بها زاوية وزرة التي تمثل مشيخة العيساوية ، هي أنها قاومت الفرنسيين إلى سنة 1258 هـ /

1842 م حين احتلوا المدينة ، وبعد ذلك ظل الفرنسيون يخشون أتباع العيساوية لشعبيتهم .

وفي آخر القرن التاسع عشر ، كان للعيساوية في الجزائر ، زاوية وزرة الأولى ، وشيخها عندئذ هو علي بن محمد بن الحاج علي بن علال ، المقيم في البرواقية ، قرب المدينة ، وهناك زاوية الرمشي قرب تلمسان ، وشيخها يومئذ الكزولي ولد الحاج محمد ، وهي زاوية لها أهمية ، ولشيخها سمعة بين الأهالي على أنه بهلواني ، ثم هناك فرع آخر في قسنطينة ، وله فيها زاوية ويتبعه مركز عناية¹ .

ولكن رغم انتشار العيساوية في وسط الجزائر وغربها وشرقها، فإن أتباعها مع ذلك قليلون ، ففي سنة 1897 ، كان لها 13 زاوية ، و45 مقدا ، و3589 إخوانيا من بينهم 33 من النسوة ، وفي سنة 1906 ، بلغ عددهم 4000 إخوانيا² .

¹ سعد الله ، المرجع السابق ، ص 81 ... 85 .

² - Rinn ,op.cit.pp.303...334 -

- Depont et Coppolani ,op.cit .p.353.

هـ - الكرزازية

ظهرت في الجنوب الغربي للجزائر ، وهي فرع آخر من الشاذلية ، وتسمى أيضا "الأحمدية" ، نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن موسى الحسيني مولى كرزاز، المتوفي عام 1016هـ/1608 م . وكان الشيخ أحمد أحد الأشراف في المنطقة ، اشتهر بالعلم والورع ، إلى أن أصبح مقدما للشاذلية ، التي أخذها على شيخيه أحمد بن يوسف الملياني ، وأحمد بن عبد الرحمن السهيلي ، وكان مقدما للشاذلية في وقته ، وكانت له زاوية في وادي قير .

وتوجد الزاوية الأم جنوب القنادة في الطريق المؤدي إلى توات ، وتم السلسلة الكرزازية في أحفاد الكرزازي إلى ان تصل إلى الشيخ الكبير بن محمد المتوفي عام 1881 م ، ثم أحمد بن الكبير بوحجامة المتوفي عام 1896 م ، ثم عبد الرحمن بن محمد ، وهو الخامس عشر في السلسلة ، والذي كان شيخا للزاوية عام 1897 م . وتشرف على الزاوية هيئة نشيطة ، تتمثل في الشيخ ، وخليفته ، والمقدمين ونوابهم ، وخدم يقومون بالواجبات الدنيوية للجميع ، وفي الكرزازية ، لا تعطى الإجازات للإخوان البسطاء الذين لم يبلغوا درجة من العلم ، والذكاء ، وحسن التدبير .

وبالإضافة إلى الجانب الديني والصوفي ، يقوم المقدمون ونوابهم بالإصلاح بين الناس ، وكانت الزاوية الكرزازية تقوم بحماية قصور الصحراء ، والتجار ، وضحايا الاعتداءات في الطرق التجارية الصحراوية . كما كانت تعتبر ملجأً للفارين والفقراء ، وقد لاحظ الفرنسيون أن أولاد سيدي الشيخ كانوا دائماً يجدون الملجأ في زاوية كرزاز ، رغم الموقف الحيادي لها¹ .

وينتشر أتباع الكرزازية ، في الجزائر خاصة ، ما بين تلمسان شمالاً إلى القرارة وتوات جنوباً ، مروراً بوادي الساورة ، وأثبت إحصاء عام 1897 م أن الكرزازية تشرف على حوالي عشر زوايا أخرى ، ولها 78 مقداً ، وحوالي ثلاثة آلاف من الإخوان² .

و- الشيخية

تنسب إلى سيدي الشيخ عبد القادر بوسماحة ، دفين الأبيض سيدي الشيخ ، والمتوفي عام 1023هـ/1615م ، وكان مؤسس الشيخية ، هذا ، مقدماً للشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمن السهيلي ، الذي أخذها ، بدوره عن أحمد بن يوسف الملياني ،

¹ سعد الله ، المرجع السابق ، ص 88 ... 90 .

² Depont et Coppolani,ibid.p.502. -

وأوصى سيدي الشيخ عبد القادر بوسماحة أولاده ،
عند وفاته باتباع تعاليم الشاذلية¹ .

وانقسم أولاد سيدي الشيخ عبد القادر إلى ثلاثة أقسام :

قسم استقروا في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم ،
واستقر فرع بزعامه الابن الأكبر الحاج أبي حفص في شرق قصر
الأبيض سيدي الشيخ ، وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة ، وسموا
بأولاد سيدي الشيخ الشراقة . واستقر فرع بزعامه الابن الثالث
الحاج عبد الكريم في غرب القصر الأبيض ، وانشأوا لأنفسهم زاوية
خاصة كذلك، وسموا بأولاد سبي الشيخ الغرابة.

وتمتد السلسلة الشيخية من سليمان بن بوسماحة إلى ابنه
محمد، إلى حفيده سيدي الشيخ عبد القادر ، إلى الحاج بوحفص
والحاج عبد الكريم² ، إلى ابن الدين العربي ، إلى بوبكر مولى

1 - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 103 - 104

2 - هو الحاج عبد الحكيم عند سعد الله ، والحاج عبد الكريم عند يحيى بوعزيز ،
ومقر أولاد سيدي الشيخ لا نظنه البيض الذي ذكره سعد الله ، وإنما قصر الأبيض .
كما يعطي يحيى بوعزيز تاريخ وفاة سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد في 1830 ،
ونظن ذلك خطأ مطبعيا ، لأنه لا يتماشى مع السلسلة الشيخية .

- أنظر : يحيى بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج 1 ،
ص 163 الجزائر ، 1996 .

الجماعة ، إلى النعيمي ، إلى بوبكر الصغير ، إلى حمزة (المولود عام 1276 هـ / 1859 م) ، وهو الذي كان متوليا لوظيفة آغا جبال عمور ، في أواخر القرن التاسع عشر ، وقد ورث السلسلة معه إخوته : سليمان ، ومحمد ، وأحمد ، وقـدور ، وابن أخيه العربي .

لقد كان أولاد سيدي الشيخ ، وارثين لمجد عائلي وديني ، فجلب إليهم ذلك مكانة مرموقة بين الناس ، وزادهم أهمية وضعهم الجغرافي ، المفتوح على الطرق الصحراوية جنوبا ، والتلية شمالا . فاستغنوا بالدين والتصوف ، وتحكموا بالسياسة والجاه ، وكونوا اتحادا كبيرا من الأعراش والقبائل ، واهتموا بالقوة الروحية الدينية والصوفية ، وبالحياة لدنيوية معا ، ونشروا طريقتهم الدينية عن طريق سلطتهم السياسية¹ .

لكن في أواخر القرن التاسع عشر ، كان أولاد سيدي الشيخ تمزقهم الخلافات العائلية ، والأطماع الفردية ، وتتحكم فيهم الظروف الخارجية ، لقد كانوا يثورون ، ويتراجعون بدون نتيجة ، رغم مكانتهم الكبيرة ، وثقافتهم الروحية الصوفية ، ووزنهم السياسي والجغرافي .

¹Deveyrier (H) , Exploration du sahra , Paris, 1905 , p 31

Rinn , op.cit . pp 349 ...368.

ومن الفروع الدينية لأولاد سيدي الشيخ ما يسمى "العمامية"، نسبة إلى الشيخ بوعمامة، وهو محمد بن العربي بن ابراهيم من ذرية سيدي التاج، الذي هو واحد من أولاد سيدي الشيخ عبد القادر بوسماحة، وينتمي الشيخ بوعمامة محمد بن العربي إلى فرع الغرابة، وقد نشأ بقصر الحمام الفوقاني في فجيج (شرق المغرب الأقصى)، وتثقف ثقافة دينية ولغوية، ودرس على أحد مقامي الشيخية في الناحية، وهو محمد بن عبد الرحمن.

وفي حوالي عام 1291هـ/1874م، انتقل الشيخ بوعمامة إلى المقرار التحتاني¹، جنوب عين الصفراء بالجنوب الغربي للجزائر، وهو في الطريق المؤدي من الأبيض سيدي الشيخ إلى فجيج غربا، وهناك أسس زاوية له، فارتفعت سمعته وتكاثر زواره. وفي عام 1292هـ/1875م، أصبح الشيخ بوعمامة مقدما للطريقة الصوفية الشيخية في المقرار، واشتهر أمره².

وفي هذه الظروف، كانت تنتشر دعوة جمال الدين الأفغاني، وحركة السلطان عبد الحميد العثماني الداعية إلى جمع شمل

¹ - بوعزيز، المرجع السابق، ص 289 - 290

² - سعد الله، المرجع السابق، ص 105 ... 111.

المسلمين في إطار الخلافة الإسلامية ، ومقاومة الزحف الاستعماري الأوروبي وسيطرته على البلدان العربية والإسلامية ، كما كانت الحركة السنوسية نشيطة في المناطق الصحراوية ، وتبث الدعوة ضد الاحتلال الفرنسي والأوروبي عامة .

وكان الشيخ بوعمامة رجل دين متحمس ، وصاحب زاوية ينشد هو الآخر إصلاح المجتمع الجزائري ، الذي هو جزء من المجتمع العربي والإسلامي ، فأعلن الثورة ضد الاحتلال الفرنسي عام 1299هـ / 1881 م .

وقد حاول الشيخ بوعمامة أن يكون خليفة الشيخية الصوفية ، وإن يوحد أولا سيدي الشيخ المتفرقين عن طريق الروابط الروحية والعائلية ، وذلك بإنشاء قيادة واحدة ، لكن الفرنسيين كان لا يرضيهم ذلك ، سيما وإن في هذه الفترة ، كانوا يسعون بين الجماعات الصوفية كلها ، حتى لا تتوحد ، ولا تصبح خطرا يهدد مصالحهم ، وقد نجح الفرنسيون في عزل أولاد سيدي الشيخ الآخرين عن الانضمام للثورة ، وبالتالي إضعافها ، ثم إفشالها، مع عوامل أخرى أدت إلى ذلك.

ومع ذلك ، ظل الشيخ بوعمامة في الجهاد والمقاومة ، ضد الاحتلال الفرنسي ، حتى توفي بضواحي وجدة ، عام 1908 م ، عن عمر يناهز سبعين عاما¹ .

أما عن الشيخية الصوفية ، بصفة عامة ، فقد جلب أولاد سيدي الشيخ العبيد والخدم ، ثم حرروهم ، وجعلوهم يقومون بشؤون الدين والزوايا، ولكن الثورات العديدة أثرت على المداخيل، وعلى المشرفين أيضا، ومنتشر أتباع الشيخية في الجنوب الغربي للجزائر ، وقد كان لها عام 1897م أربع زوايا، و45 مقاما، و10.216 إخوانيا ، من غير الرعايا الدينيين أو السياسيين² .

ز - الزيانية

وهي شاذلية، تأسست بالقنادسة في الجنوب الغربي الجزائري، على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن بوزيان المتوفي عام 1145هـ / 1733م .

وورثه ابنه محمد الأعرج للسر والبركة الصوفية ، واتجه الخليفة الأول الشيخ محمد الأعرج نحو التعليم والدعوة للدين

¹ - بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 304 .

² Depont et Coppolani, op . cit. pp.475 -477.

والتصوف ، وفق التعاليم الزيرية ، وبعد وفاته عام 1175 هـ/1761 م ، تتابع الخلفاء ، فكانوا كالتالي :

جاء الخليفة الثاني ، هو أبو مدين بن محمد الأعرج ، الذي بنى جامع القنادسة ، وزاوج بين الدنيا والآخرة ، فتعاطى التجارة وأصبح من الأثرياء ، وتوفي عام 1204 هـ/1790 م.

ثم الخليفة الثالث، وهو محمد بن عبد الله بن أبي مدين، وقد توفي عام 1242 هـ/1826 م .

ثم الخليفة الرابع، وهو أبو مدين بن محمد بن عبد الله، وكان أديبا وشاعرا، إلى جانب الفقه والتصوف، وتوفي عام 1268 هـ/1852 م .

وأظهر الخليفة الخامس محمد المصطفى، عطفًا خاصًا على الفقراء والأيتام، وتوفي عام 1275 هـ/1858 م .

أما الخليفة السادس، مبارك حفيد محمد المصطفى، فلم يبق إلا تسعة أشهر، ثم ترك شؤون الزاوية لأخيه .

ثم جاء الخليفة السابع، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن المصطفى، وقد طال عهده إلى عام 1312 هـ/1895 م.

أما الخليفة الثامن ، فهو ابراهيم القندوسي بن محمد بن عبد الله ، وقد توفي عام 1913 م .

ثم كان الخليفة التاسع ، بن أخ ابراهيم القندوسي ، وهو محمد بن الأعرج ، والذي توفي عام 1934 م .

وبعد ذلك جاء الخليفة العاشر، وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأعرج.

وكانت الزبانية تقدم خدمات كبيرة في ناحيتها ، منها تسهيل حركة القوافل والتجارة، وتدخل للصلح بين الناس، وتقديم زواياها الضيافات للعاشرين، وتؤوي المهزومين والهاربين، فلقد سمح شيخ الزاوية بلجوء بعض ثوار بوعمامة عنده .

وفي الجنوب ، تقع زاوية رقان الشاذلية أيضا ، وكان شيخها هو مولاي الحسن بن عبد القادر ، الذي فرّ من رقان إلى تافيلالت، عند احتلال الفرنسيين توات ونواحيها ، وكان لزاوية رقان علاقة بزاوية القنادسة شمالا ، وكان نفوذها يمتد إلى توات ، والقرارة ، وتيديكلت، ومنطقة الطوارق جنوبا، حتى تمبكتو ، وكانت الزاوية، كذلك، مركزا لحل مشاكل الجهة ، فيأتيها الناس من أجل ذلك¹.

¹ سعد الله ، المرجع السابق ، ص 90 ... 94 .

- Rinn , op . cit , p . 408

ح- الرحمانية

تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهرى الزواوي
المرجري المتوفي عام 1208هـ/1793 م ، وهو من قبيلة آيت
اسماعيل من عرش قشطولة . تعلم في البداية بزاوية الشيخ الصديق
بن اعراب ، بالأربعاء نايت إيراثن ، ثم ارتحل إلى المشرق في حدود
عام 1152 هـ/1740 م ، وبقي هناك ما يزيد عن ثلاثين سنة ،
فأخذ العلوم في جامع الأزهر ، وفي المشرق تلقى الشيخ محمد بن
عبد الرحمن الأزهرى ، تعاليم الطريقة الخلوتية الشاذلية، على الشيخ
محمد بن سالم الحفناوي ، وحوالي عام 1177هـ/1764 م ، عاد
إلى قريته آيت اسماعيل، فأسس بها زاوية ، وأخذ ينشر أفكاره
وطريقته ، وقبل وفاته عين خليفة له في إدارة الزاوية الشيخ علي بن
عيسى المغربي ، فتولى شؤونها من عام 1208هـ/1793م إلى عام
1251هـ/1836م¹ .

وقد عين الشيخ ابن عبد الرحمن الأزهرى مقدمين أثناء
حياته منهم محمد بن عبد الرحمن باش تارزي في قسنطينة ، والذي
أصبح نائبا عنه في منطقة الشرق والجنوب الجزائري ، وحتى في
تونس .

¹ . علي علواش ، " الأزهرى " ، المرجع السابق ، ص 37 - 38 .

وتحالفت الرحمانية مع القادرية على الجهاد ضد الاحتلال منذ 1830 ، وانتشرت الرحمانية بسرعة .

وبعد علي بن عيسى المغربي ، تولى شؤون الزاوية الأم الشيخ بلقاسم بن الحافظ ، وهو من شيوخ المعاتقة ، وقد ساعد عهده على استقلال فروع الرحمانية في المناطق الشرقية والجنوبية من الجزائر .

وحوالي عام 1259 هـ / 1844م ، تولى شؤون الزاوية الرحمانية الحاج عمر ، وهو الذي لعب دورا في مقاومة زواوة عام 1857م ، وهدمت الزاوية في عهده على يد الجنرال "ديفو" . واضطر الحاج عمر إلى الهجرة إلى تونس ثم إلى الحجاز¹ .

وبعد الحاج عمر ، كان محمد الجعدي شيخا للرحمانية ، ثم جاء بعده الشيخ محمد أمزيان الحداد الذي استقر في صدوق ، وأدار شؤون الزاوية إلى ثورة 1871 م ، وفي عهده اشتهرت زاوية الصدوق بالعلم والحيوية ، ورغم مكانة الشيخ الحداد ، فإنه لم

١ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 141 ... 143 .

- Cour "recherches sur l'état de confréries religieuses musulmanes " , revue africaine , 1921, pp.329 ...33

يستطع أن يوحد فروع الشرق والجنوب التي ظلت تشعر بالاستقلال لبعدها عم المركز¹.

وقد مرّت الرحمانية ، في مقرّها ونواحيه ، بهزّات عنيفة ، منذ عام 1871. حيث استجاب الإخوان هناك لنداء الجهاد الذي أصدره الشيخ الحداد في 08 أفريل 1871 ، ونتيجة لذلك خربت زاوية صدوق ، وسجن شيخها في 13 يوليو ، وقبض على ابنه عبد العزيز ومحمد ، وحوكم المقدّمون والوكلاء ، وأعدم عدد منهم ، وشرّد الباقون ، وطوردوا إلى حدود تونس وصودرت أملاكهم ، ووزّعت على المستعمرين ، وأقام الفرنسيون قرية استيطانية على أرض الزاوية وأوقافها ، وأصبح أهلها خدما لدى المستعمرين².

ورغم أن الشيخ محمد بن بلقاسم الحسني البوجليلي العباسي كان مقدّمًا للشيخ الحداد ، في زاوية بوجليل ، بدوار تيقرين ، ناحية آقبو ، إلا أنه ركز على العلم والتعليم بدل التصوف ، وقد انكب على التعليم والتأليف وخدمة الدين ، فاشتهر أمره ، وورد عليه الطلاب ، فكان يجيزهم بالعلم ، لا بالذكر .

وبعد موت الشيخ الحداد في سجن الكدية بقسنطينة ، خلفه تلميذه الحاج علي بن الحمالوي بن خليفة ، وهو مقدمه في

¹ - سعد الله ، نفسه ، ص 145 ، 168 ، 170 .

² Rinn , op.cit . p 474 .

زاوية أولاد عبد النور ، وبذلك تحول مركز الزاوية الرحمانية إلى وادي العثمانية بنواحي قسنطينة ، وأصبح لابن الحملوي مقدموه في زوايا فرعية لوادي العثمانية¹ .

أما فرع قسنطينة ، فقد ورّثه الشيخ باش تارزي لأبناء عائلته، كما ورّث بركة الطريقة أيضا للشيخ محمد بن عزوز البرجي ، ببرج طولقة .

وكان الشيخ محمد بن عزوز مقدما للرخمانية ، بنواحي بسكرة ، فاشتهر ، وكثر أتباعه وفروعه في الجنوب .

وكان الحسين بن محمد بن عزوز خليفة للأمير عبد القادر على الزيان ، قبل اعتقاله ونفيه .

وبعد احتلال بسكرة عام 1844م ، هاجر الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز ، وهو الذي خلف والده ، إلى نقطة بتونس ، وأسس بها زاوية رحمانية ، أصبحت ذات شهرة واسعة في العلم والتصوف ، وملجأً للهاربين من ظلم الاستعمار الفرنسي ، سيما قبل احتلال تونس عام 1881م² .

¹ - Depont et Coppolani , op.cit . p 390 .

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 146 ... 150 .

وقد عين الشيخ محمد بن عزوز ، قبل وفاته ،
مقدمين من تلاميذه ، وهم : علي بن عمر في طولقة ،
والمختار بن خليفة الجلالي في أولاد جلال ، وعبد الحفيظ في
خنقة سيدي ناجي ، بالزيان ، ومبارك بن نحويدم ، والصادق
بن الحاج في الأوراس.

ثم أضيف فرع الهامل ، بقرب بوسعادة ، والذي تولاه محمد
بن القاسم ، بعدما أخذ عن الشيخ المختار بن خليفة الجلالي ،
وفرع وادي سوف الذي تولاه الشيخ سالم بن محمد الأعرج ، بعدما
أخذ عن الشيخ علي بن عمر¹ .

ولم يتدخل الشيخ علي بن عمر مباشرة في السياسة ، فقد
فتح الزاوية للجميع ، وكان يعلم ، ويطعم الفقراء ، ويصلح بين
الناس ، كما أنشأ مكتبة ، وأورث بركته الصوفية لابن أخيه علي
بن عثمان ، وقد اتبع خلفاؤه سيرته .

أما الشيخ المختار بن خليفة الجلالي ، فقد ساند ثورة
الزعاطشة ، قرب بسكرة ، عام 1849 ، وأرسل النجدة إلى الشيخ
بوزيان ، زعيم الثورة هناك ، واستجابت الرحمانية على يده لداعي
الجهاد ، وبذلك جمع الشيخ المختار بن خليفة بين التعليم والجهاد

١ - الحفناوي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 399 ، 485 .

والتصوف ، وعمّ نفوذه اولاد نائل والسحاري ، وقد شارك في
انتفاضة عام 1861 بالخنقة .

وكذلك الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، عمل على نشر التعليم
والأذكار الصوفية في خنقة سيدي ناجي ونواحيها ، ورغم
تقدم السن به وتفرغه للعلم ، فقد شارك في ثورة الزعاطشة ، ودعا
للجهاد ، ودخل المعركة حتى استشهد فيها .

وأنشأ الشيخ الطاهر بن الصادق بن الحاج زاوية رحمانية في
جبل أحمر خدو بالأوراس ، وهي التي تخرج منها محمد بن عبد
الرحمن الذي ظهر في ثورة الأوراس عام 1879¹ .

وظهر فرع آخر في الأوراس ، على يد الشيخ الهاشمي بن
علي دردور ، من عرش أولاد عبدي ، وكان تلميذا في زاوية الخنقة
الرحمانية ، وأصبح مقدما لها ، بمدونة ونواحيها ، ونتيجة لوقوفه
ضد الاحتلال ، فعوقب بالنفي إلى كورسيكا عام 1880² .

أما الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ربيح ، الذي استقر
بالهامل ، قرب بوسعادة ، فأخذ ينشر التعليم ، وبني زاوية للعلم
والطريقة الرحمانية، وذلك ليستقبل فيها الزوار الغرباء،

¹ - Rinn , op.cit. p .460.

² - Depont et Coppolani , op.cit .pp .395, 412.

والضيوف، ولكي يجد فيها الطلبة سكنهم ، وقاعات دروسهم ،
وبعد وفاته ، تولت ابنته السيدة زينب شؤون الزاوية ، وظلت على
رأسها إلى وفاتها عام 1904م¹ .

وقد قيل أن الرحمانية كانت وراء انتفاضة عين التركي سنة
1901م ، التي وقعت بالقرب من مليانة ، والتي قادها الشيخ يعقوب
الرحماني² .

كما أن انتفاضة الشيخ عمر بن عثمان التي حدثت عام
1906 بالقصرين ، في أعقاب انتفاضة الشيخ يعقوب كانت أيضا
رحمانية³ .

وفي سنة 1906 ، وصل عدد الإخوان الرحمانيين إلى
133.500 من بينهم أكثر من 13.000 من النساء ، في المناطق
التي شملها إحصاء " هنري قارو " ، وهي كما يلي⁴ :

- وادي العثمانية : 40.000 من الإخوان، و 40 زاوية .
- آقبـو : 09.000 من الإخوان، و 22 زاوية .

¹ - الحاج مزاري ، المرجع السابق ، ص 21 ... 32 .

² - Garrot Henri , " le mouvement islamique " , bulltin de la
societe de geographie d'Alger et de l'Afrique du Nord , 1906 , p
187 .

³ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 151 ، 156 ، 163 ، 179 .

⁴ - Garrot , op.cit . p.171

- قسنطينة : 10.000 من الإخوان ، و 08 زاوية .
 - طولقة : 16.000 من الإخوان ، و 17 زاوية.
 - الهامسل : 43.000 من الإخوان ، و 29 زاوية .
 - أحمر خدو : 02.000 من الإخوان ، و 03 زاوية .
 - نفطة : 13.000 من الإخوان ، و 15 زاوية .
- وقد لاحظ الدكتور سعد الله ، أن هذا الإحصاء لم يشمل بقية الفروع الأخرى للرحمانية ، كوادي سوف والخنقة ، وأولاد جلال¹.

ط- السنوسية

تنسب السنوسية إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي ، الذي ولد حوالي عام 1202 هـ / 1787 م ، بالقرب من مدينة مستغانم ، وتوفي عام 1276 هـ / 1859 م ، بليبيا ، وقد نشأ في أسرة علم ودين ، وتنقل في أسفاره بين بلدان المغرب والمشرق ، وتعرف على أوضاع العالم الإسلامي ، ودرس العوامل المؤثرة في انحطاط المسلمين ، وكان للسنوسي اهتمام بعلوم كثيرة، إلى جانب الاشتغال بالتصوف ، كالفقه ، والتفسير ، والحديث ، والأنساب ،

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 178 .

والتراجم ، والسياسة ، وعلم الفلك ، والمناظرة ، وله في ذلك كتب ورسائل¹ .

غادر محمد بن علي السنوسي الجزائر إلى فاس عام 1237 هـ/ 1821 م ، وتلمذ في فاس على مشايخ القرويين وغيرهم ، وفي عام 1829 ، غادر البلاد متجها إلى الحج ، وكان يتوقف في الطريق ، وقد انتصب للتدريس في بعض البلدان مثل الأغواط ، حيث درّس الفقه والنحو ، ونزل عين ماضي ، وأخذ ذكر التجانية ، ودخل الحلفة ، والسحاري ، ومسعد ، وبوسعادة ، حين كانت الحملة الفرنسية تتزل بالجزائر ، وواصل الطريق ، فمر بتماسين ، حيث الزاوية التجانية ، ومرّ بوادي سوف ، ومنه دخل إلى جريد تونس ، ثم طرابلس وبرقة ، ثم نزل بمصر وقرأ بالأزهر ، وأخذ الإجازات العلمية ، وأذكار الطرق الصوفية .

وقبل ذهابه إلى مكة ، كان الشيخ السنوسي قد أخذ مجموعة من الطرق الصوفية في المغرب الأقصى والجزائر ، منها : القادرية ، والشاذلية ، والتجانية .

¹ - عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 168 ... 170 .

- علواش ، المرجع السابق ، ص 288 - 289 .

وأسس الشيخ السنوسي زاوية على مشارف مكة ، وأخذ ينشر طريقته الجديدة ، والتي ترجع إلى الخضرية - القادرية ، وكان قوي الشخصية ، غزير العلم ، مستقلا في رأيه ، مبتعدا عن الحكام والسياسة¹ .

وفي عام 1843 ، غادر الشيخ السنوسي مكة إلى ليبيا ، حيث بنى عدة زوايا ، وازدهرت طريقته بسرعة ، وأول زاوية بناها : كانت البيضاء بالجليل الأخضر ، ثم تكاثرت الزوايا ، منها في ناحية برقة ، وبنغازي ، وبعضها في تونس والجزائر ، سيما نواحي توات والصحراء عموما ، ثم انتقل الشيخ السنوسي إلى جغبوب ، في الجنوب الليبي ، عام 1855 ، وأسس بها زاوية جديدة ، لكي يضمن حرية الحركة والاتصال ، بعيدا عن أنظار السلطة العثمانية في الساحل .

وكتب الشيخ السنوسي الرسائل إلى أهل الطرق الصوفية ، والمؤمنين له ، يطلب منهم دعم حركة الشريف محمد بن عبد الله ، الذي ثار في الصحراء الشرقية للجزائر ، وشملت المنطقة التي حارب

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 247 ... 251

- هلال ، المرجع السابق ، ص 127 ... 129 .

فيها الاحتلال الفرنسي ، بلاد الطوارق ، وورقلة ، وبني ميزاب ، والأغواط ، وتوات ، ووادي ريغ ، ووادي سوف ، والزيان .

كما أن الشخصية التي كانت وراء دعم الشريف محمد ، هو الحاج أحمد التواتي ، وهو العضد الأيمن للشيخ السنوسي ، والمقدم له على المنطقة الغربية . فقد كان الحاج التواتي يدعو إلى الجهاد ، ويحثد الاتباع ، ويأمر بشراء الأسلحة والذخيرة ، وهو الذي أوعز بتنظيم الحملة التي انتهت باعتقال الشريف محمد ، عام 1861¹ .

وقد واجه الفرنسيون أتباع السنوسية خلال أعوام 1879 و1880 ، و1881 ، ووجدوا شخصيات منهم في ثورات أولاد سيدي الشيخ ، وهم الذين اغتالوا بعثة المستكشف الفرنسي "Flatters" عام 1881 ، في الجنوب الصحراوي للجزائر .

ولكن الاحتلال الإيطالي لليبيا، والحرب العالمية الأولى ، جعلتا السنوسية تقاوم بطريقة أخرى في الجزائر وغيرها، ومن ذلك أحداث الطوارق عام 1916 ، ومقتل " شارل دي فوكو de foucauld " الجاسوس القديس الفرنسي ، والثورة التي وقعت في تلك المنطقة الصحراوية، وكذا مقاومة التسرب الفرنسي في فزان² .

¹ - بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 150 ... 159 .

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 252 ... 255 ، 262 ، 273 .

ي- التجانية :

ترجع التجانية إلى مؤسسها الأول ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن سالم التجاني .

ولد أبو العباس أحمد التجاني عام 1150 هـ / 1737 م ، بالجزائر ، في قرية عين ماضي¹ ، وهي تبعد عن مدينة الأغواط بحوالي 60 كلم ؛ وتعلم فيها المبادئ ، وحفظ القرآن .

وفي سن العشرين ، سافر أبو العباس أحمد التجاني إلى مدينة فاس المغربية، لأخذ العلم² ، وظل متنقلا يأخذ الأوراد والأذكار الصوفية ، فأخذ الطريقة القادرية عن مقدمها في فاس: الشيخ محمد بن حسن ، والطريقة الناصرية عن الشيخ محمد بن عبد الله

¹ - مرجوليوت ، " تجانية " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السابق ،

المجلد 04 ، القاهرة 1933 ، ص 593

² - عباس بن ابراهيم المراكشي ، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من

الأعلام ، ج 05 ، ص 198

التزاني بالريف المغربي ، وأخذ عن الشيخ الطيب الوزاني طريقته
الطبية¹ .

وبعد ذلك عاد أبو العباس أحمد التجاني إلى الجزائر ، ومكث
في الأبيض سيدي الشيخ مدة خمس سنوات ، ثم رجع إلى مسقط
رأسه عين ماضي ؛ ولما لم يجد فيها بغيته من العلماء
والصالحين ، انتقل إلى تلمسان ، وأقام بها مدة
خمس سنوات (من 1181 هـ / 1767 م إلى 1186 هـ
/ 1772 م) ، ثم سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج ؛ وفي طريقه
مر بزواوة ، فدرس على الشيخ عبد الرحمن الأزهري ، وأخذ عنه
الذكر والطريقة الرحمانية .

توقف أبو العباس أحمد التجاني أثناء رحلته بتونس ، والتقى
فيها ببعض العلماء ، وأخذ في مصر عن الشيخ محمود الكردي
الطريقة الخلوتية والمستحبات العشر ، كما أخذ في المدينة المنورة
الطريقة الشاذلية ، ووظيفة الشيخ زروق ، ودلائل الخيرات عن
الشيخ القطب سيدي محمد بن عبد الكريم السمان² .

¹ - محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ، فاس 1326 هـ ، ج 01 ،
ص 181

² - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 517-519 .

عاد أبو العباس أحمد التجاني بعد سنتين إلى تلمسان ، ثم ذهب إلى توات ، وانعزل في بوسمغون ، وهناك قيل أنه جاءه الفتح الكبير، وهو في الخامسة والأربعين من عمره فادعى الولاية والكرامة، وأخذ ينشر طريقته التي جمع فيها خلاصة الطرق الصوفية السابقة ، ولكن بايات وهران أقلقهم نشاطه ولاحقوه ، فانتقل بأسرته وتلاميذه إلى مدينة فاس سنة 1211 هـ / 1795 م ، وعاش فيها إلى أن توفي سنة 1230 هـ / 1814 م¹ .

ولنشر طريقته ، أسس أبو العباس أحمد التجاني زاويته الأولى بفاس المغربية سنة 1215 هـ / 1799 م ، وقام بتأسيس زوايا في أماكن أخرى ، وعين لها مقدمين ينشرون طريقته ، وتميزت التجانية بتعاليمها البسيطة ، ومذهبها الواضح الذي كان قريبا من التفكير العامي السائد آنذاك² ؛ وكانت لها أهمية اجتماعية وسياسية ، خصوصا في عهد الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يستغل نشاط الطرق الصوفية وتأثيرها الروحي لتحقيق أغراضه .

¹ - سعد الله ، نفسه ، ص 185 .

- علي علواش ، " التجاني " ، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر 1995 ، ص 109-110

² - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 122 .

وقد ظهرت التجانية في السودان الغربي بواسطة محمد الحفيظ بن مختار بن الحبيب ، الملقب ببادي ، والذي كان قد زار أحمد التجاني في فاس ، وأخذ عنه تعاليم التجانية ومبادئها¹ . ولم يقتصر دور التجانية هناك على الجانب الديني والاجتماعي ، بل شمل الميدان السياسي أيضا ، إذ ساهمت التجانية في ظهور عدد من الدويلات ، مثل دولة الشيخو أحمدو ، ودولة الحاج عمر (1798 - 1865 م) ، الذي أسس رباطا في فوتاجالون ، وأصبح مقدما للتجانية ، والتف حوله الأنصار ، وأعلن الجهاد ضد الوثنية ، وحارب الاحتلال الفرنسي بدون هوادة ، إلى أن هلك وقمعت حركته² .

ترك أبو العباس أحمد التجاني ، عند وفاته ، ولدين هما : محمد الكبير ، ومحمد الصغير (الحبيب) ، وخلفه على رأس الطريقة الحاج علي الينبوعي في تماسين ، وهي على بعد 14 كلم من تقرت بوادي ريغ .

ولد الحاج علي في تماسين عام 1180 هـ / 1766 م ، ونشأ على التصوف ، وزار الشيخ أحمد التجاني في

¹ - محمد عبد القادر ، الفكر الصوفي في السودان ، القاهرة 1968 ، ص

² - هلال ، المرجع السابق ، ص 124 .

عين ماضي ثم في فاس ، وأخذ الوصية منه لكي يكون هو حامل البركة بعده في الجزائر ، وراعي ابنه ، حيث جاء بهما من فاس إلى عين ماضي بعد وفاة والدهما¹ .

وبنى الحاج علي الينبوعي زاوية تماسين منذ عام 1214 هـ / 1798 م في ضاحية تعرف بتملاحت ، وكان يحبذ الفلاحة فشجعها ، مما أدى إلى عمارة تماسين بالنخيل والأشجار المثمرة ؛ وبعد بلوغه ثمانين سنة توفي عام 1260 هـ / 1844 م² .

وفي هذه الحقبة انتشرت الطريقة التجانية في التل والصحراء والسودان الغربي ، وذلك عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، لا سيما فاس وتلمسان وتوات والحقار وفوتا والسينيغال وتمبكتو ، وكانت الزاوية التجانية هي المحرك لهذه الشبكة من القوافل التي تحمل الذهب والتبر ومختلف البضائع المتبادلة في ذلك العهد ، فكثرت الأتباع والمقدمون والزوايا التجانية ، وتدفقت الخيرات من زيارات وإمدادات ونفوذ

¹ - الحفناوي ، المرجع السابق ، ج 1 ، الجزائر 1906 ، ص 282-286 .

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 219 .

على عين ماضي وتمادين ، وتحولتا إلى مركزين ثريين بالمال وعمارة الأسواق ، إلى جانب دورهما الديني والاجتماعي¹ .

وقد وقعت عدة أحداث وهجومات بين النظام العثماني والتجانية في عين ماضي ، مما أدى إلى مقتل محمد الكبير بن الشيخ أحمد التجاني وهو يهاجم مدينة معسكر ، فأخذ أخوه محمد الصغير قيادة الطريقة التجانية في عين ماضي ، وكان أميل إلى الهدوء من أخيه ، ولكن بركة الطريقة الحقيقية كانت في يد الحاج علي الينبوعي بتمادين ، وقد فضل التصوف والسكون على الجهاد والحركة ، ورفض انضمام التجانية للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي² .

عند وفاة الحاج علي الينبوعي التماسيني عام 1260 هـ / 1844 م ، ورث عنه البركة التجانية محمد الصغير بن الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة ، فأصبح هو شيخها ، وقد ولد عام 1217 هـ / 1801 م في المغرب الأقصى ، وحفظ القرآن ، وأخذ

١ - هلال ، المرجع السابق ، ص 126 .

٢ - Rinn , op . cit , P . 427 . . .

- Trumelet (C) : « Notes pour servir a l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 » Revue Africaine , Vol . 21 , année 1877 , pp . 336 - 338 .

مجموعة من العلوم والمعارف هناك¹ ، وإلى جانب ثقافته الدينية والصوفية ، فقد كونه أحداث الجزائر بعد ما جيء به من فاس بعد وفاة والده عام 1230 هـ / 1814 م ؛ ومن هذه الأحداث تعرضه لحصار الأمير عبد القادر في عين ماضي عام 1254 هـ / 1838 م بغرض فرض الطاعة على التجانية ، وقطع الصلة بينها وبين الفرنسيين² . وفي عهد الشيخ محمد الصغير دخل الفرنسيون الصحراء الشمالية الجزائرية ، واحتلوا الأغواط وعين ماضي عام 1260 هـ / 1844 م ، وكانت التجانية تلتزم الحياد ، وهادنت الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وأبدى نحوه مقدموها وشيوختها طواعية كبيرة³ .

1 - سعد الله ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 205 .

2 - محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ج 1 ، بيروت 1964 ، ص 196 .

- دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السابق ، م 4 ، ص 594 - 595 .

Yver (G.) : « Abd - EL - Kader et le MAROC en 1838 »

Revue africaine , N° 60 , année 1919 , pp 92 - 98

³ - Marey (général) : Expédition de Laghouat , Alger 1844 , pp. 9 - 13 .

- Maugin (E.) : « Notes sur l'histoire de Laghouat » , Revue africaine , N° 38 , année 1894 , pp. 86 - 96 .

توفي الشيخ محمد الصغير بن أحمد التجاني عام 1853 م ،
تاركا ابنا صغير السن لا يمكن تكليفه بشؤون الزاوية ، ثم توفي
بدوره عام 1857¹ ، لذلك خلفه في حمل البركة وقيادة التجانية
الشيخ محمد العيد بن الحاج علي الينبوعي في تماسين .

أما زاوية عين ماضي ، فتولى تسيير شؤونها ، والإشراف على
النواحي الروحية فيها المشري الريان الذي كان محل ثقة الشيخ
محمد الصغير بن أحمد التجاني ، وأصبح المشري الريان وكيل
الشيخ في مختلف المسائل ، وأعاد بناء الزاوية ، وتولى القضاء
في عين ماضي ، وكلفه الفرنسيون بإدارة البلدة² .

ولكي تبقى الوراثة في آل الشيخ التجاني ، وبالتالي تستمر
زاوية عين ماضي في نفوذها وسمعتها ، فقد نسب المشري الريان
والسلطات الفرنسية إلى الشيخ محمد الصغير المتوفي ولدين آخرين
من وصيفة كانت له ، وهما : أحمد والبشير³ .

ولما كانت ثورة أولاد سيدي الشيخ على أشدها ، وهم
جيران عين ماضي ، وقد اشترك فيها الإخوان التجانيون
دون الرجوع إلى طريقتهم ، قام الفرنسيون بتعيين أحمد بن محمد

¹ - Trumelet , op . cit. , pp. 342 – 343 .

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 207 .

³ - Trumelet , op . cit. , pp. 393 – 404

الصغير التجاني قائدا على عين ماضي ومقدما للتجانية عام 1865 ،
وذلك حتى يتم فصل التجانيين عن الثورة .

ولكن في سنة 1869 ، قامت السلطات الفرنسية باعتقال
الأخوين أحمد والبشير ابني محمد الصغير التجاني (المنسوبين إليه) ،
وذلك بعدما التجأ البعض من أولادي سيدي الشيخ إلى عين
ماضي¹ .

وبعد ذلك سافر أحمد بن محمد الصغير التجاني عام 1870 إلى
فرنسا وتزوج هناك في مدينة بوردو " بأوريلي بيكار " ابنة
الضابط المتقاعد ، ثم طلق زوجته الأخيرة بعد رجوعه إلى الجزائر
عام 1872 .

• وقد لعبت " أوريلي بيكار " دورها في حياة الزاوية التجانية ،
وبني لها قصر كوردان ، على بعد عشر كيلومترات من عين ماضي،
وأصبح قصرا للحياة الفرنسية في الصحراء ، حتى لقبت صاحبته
بملكة الرمال² .

توفي أحمد بن محمد الصغير التجاني عام 1897 ، وجرى تأيينه
رسميا في الجامع الجديد بمدينة الجزائر ، تحت رعاية السلطات

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 211-212 .

² - نفسه ، ص 213-214 .

الفرنسية ، وبحضور الحاكم العام " جول كامبون " نفسه ، وحضر
الحفل المفتون والقضاة ورؤساء الطرق الصوفية وأعيان المسلمين ،
ونخطب في هذه المناسبة المفتي الحنفي أحمد بوقندورة ، والمفتي
المالكي محمد بن زاكور ، وممثل الطرق الصوفية محمد بن بلقاسم
الهامللي ، وغيرهم¹ .

عند وفاة الشيخ أحمد بن محمد الصغير التجاني عام 1897 ،
كانت البركة ما تزال في زاوية تماسين ، وكانت فرنسا
غير مرتاحة لحاملها الشيخ محمد بن محمد العيد التماسيني ، لذلك
رأت أنه من مصالحها في الصحراء وأفريقيا عن طريق التجانية ، أن
يتزوج البشير التجاني من أرملة أخيه " أوريلي بيكار " ،
بإشارة من الحاكم العام " جول كامبون " ؛ ثم أعادت البركة إلى
زاوية عين ماضي . واعترف الأتباع في الأغواط والمناطق المجاورة
بالشيخ البشير زعيما روحيا للطريقة ، وشيخا لزاوية عين ماضي ،
وحاملا للبركة التجانية ، إلى وفاته عام 1912 في قمار ، عندما
كان يتفقد زوايا التجانية بقسنطينة والصحراء الشرقية ، ثم خلفه
ابنه محمد الكبير² .

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 210 ، 215 ، 217 .

² - Cauvet (commandant) : « Notes sur le souf et les
souafat » , Bulletin de la société de géographie d'Alger ,
Vol 35 , N° 137 , année 1934 (01^{er} tri .) p . 252

قبل الشيخ البشير التجاني ، كانت البركة التجانية في عائلة الحاج علي الينبوعي بتماسين لمدة طويلة ؛ وذلك لما توفي الشيخ محمد الصغير بن أحمد التجاني بعين ماضي ، عام 1853 ، ولم يترك ولدا كبيرا يخلفه ، آلت قيادة الزاوية والبركة التجانية إلى الشيخ محمد العيد بن الحاج علي الينبوعي بتماسين من 1853 إلى 1875¹ .

كان الشيخ محمد العيد عالما وورعا ، وقد وصف " دوفيرييه " زاوية تماسين في عهده بأنها كانت أعظم زوايا الجزائر ، وقال : " إنك حين تدخلها تحس بعظمة المؤسسة وحكومتها القوية ، فيها مسجد للصلاة ، وعدد من المنازل للأتباع والخدم ، وقصر ضخم لإقامة الشيخ يحتوي على مرايا جليء بها من البندقية ، كما تحتوي على الأرائك المزينة على الطراز الأوروبي ، وكل ذلك من الضخامة بحيث لا تظن نفسك في مدينة صحراوية " ² .

وعلى إثر وفاة الشيخ محمد العيد ، خلفه أخوه محمد الصغير بن الحاج علي الينبوعي ، من 1875 إلى 1892 ، وكان مقدا على زاوية قمار بوادي سوف ، وكان في الخامسة

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 218-222 .

² - Deveyrier (H.) , Exploration du Sahara , Paris 1905 , p.309 .

والستين من عمره حين تولى مشيخة الطريقة التجانية في زاوية
تماسين ، وترك ابنه محمد العروسي في وظيفة مقدم زاوية قمار¹ .

تعلم الشيخ محمد العروسي القرآن على محمد الطالب
الشنقيطي ، والفقہ على قاضي قمار الأخضر بن أحمد ، والتصوف
على والده ، وكان عالماً ، ورعاً ، نشيطاً ، وله ولع بالعلوم
والمعارف ، وله طموح وتطلع إلى لعب دور قيادي ، فجعل من
زاوية قمار مدرسة لتدريس العلوم ، ومحط أنظار لرجال زاويتي
تماسين وعين ماضي ، وكذلك السلطة الفرنسية لتأثيره في النواحي
الجنوبية ، فقد كانت له علاقات مع الأتباع البعيدين سواء في
الصحراء أو في السودان حتى وفاته عام 1920 ، وقد صادف
ذلك اهتمام السلطات الفرنسية بمنطقة الهقار ، والتعرض لتقديم
السنوسية² .

وبعد وفاة الشيخ محمد الصغير ، خلفه أخوه معمر بن الحاج
علي الينبوعي في مشيخة الطريقة التجانية بتماسين من 1892 إلى
1893 ، ثم محمد بن محمد العيد بن الحجاج علي من 1893 إلى

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 226 ، 231-232 .

² - Foureau (F.) , d'Alger au Congo par le Tchad , Paris
1902 .

1897 ، حيث رجعت بركة الطريقة التجانية إلى زاوية عين ماضي¹.

واستمرت الوراثة في زاوية تماسين ، بعد وفاة الشيخ محمد بن محمد العيد بن الحاج علي عام 1912 ، في ابنه البشير إلى وفاته عام 1917 ، ثم ابنه محمد العيد حتى وفاته عام 1927 ، ثم خلفه عمه أحمد بن محمد الذي امتد عهده إلى سنة 1978 ، ولكن البركة التجانية ظلت في زاوية عين ماضي².

أما بخصوص الإحصاء ، فقد كان للزاوية التجانية (25.323) تابعا ، و (32) زاوية ، و (165) مقدا ، و (09) وكلاء ، بالإضافة إلى النساء الخونيات ، فيما بين عامي (1897) و (1906)³ . ويتمركز معظم التجانيون وأتباعهم في الناحية الجنوبية الشرقية من القطر الجزائري .

ويعتبر المرجع الرئيسي للتجانية كتاب " الكناش " ، وعنوانه الكامل هو " جوهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض الشيخ التجاني "

¹ - Depon, op . cit t, p. 428

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 208-236 .

³ - Garrot (H.) ; « le mouvement islamique » , Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord , 1906 , p. 159 .

- Depont et Coppolani , op . cit. , p . 438 .

طبعته المطبعة الأزهرية عام 1936 قد أملاه مؤسس الطريقة
الشيخ أحمد التجاني على بعض تلاميذه ، منهم الحاج علي
حرازم، ومحمد بن المشري السائح، وضمنه تاريخ حياته ، وعقيدته
الصوفية ، ووصاياه إلى أتباعه ، ويحمل الكتاب تاريخ ذي القعدة
1214 (مارس / أفريل 1800)¹ .

ومن أشهر كتب التجانية :

- " كشف الحجاب عن تلاقى مع التجاني من
الأصحاب "، صنفه أبو العباس أحمد بن أحمد العياش سكيرج ، طبعة
فاس 1325 هـ / 1906 م .

- " بغية المستفيد " ، المطبوع بمطبعة التقدم عام
1326 هـ / 1907 م .

- " الإفادة الأحمديّة " ، للطيب السفياني المطبوع
بمطبعة الصدق الخيرية ، عام 1931 .

- ومن الكتب التي تناولت التجانية وأحصت مصادرها ،
كتاب : " مؤرخو الشرفاء " ، للفي بروفنسال² .

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 242-237 .

² - Levi Provençal (E.) : les histoires de chorfa , Paris 1922 , p.
377

ك- الدرقاوية

ظهرت الدرقاوية في المغرب الأقصى ، ويعود أصلها إلى الشاذلية ، وهي تنسب إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي ، المتوفي سنة 1823 في زاوية بوبريج ، بشمال فاس . وقد خلفه محمد البوزيدي ، ثم توالى الخلفاء إلى عبد الرحمن بن الطيب الذي كان متوليا الزاوية عام 1884 .

وتعتبر هذه الزاوية هي الأم لفروع الدرقاوية الأخرى ، كالمدينة التي أسسها الشيخ محمد بن حمزة المدني عام 1820 في مصراته بليبيا ، والهبرية التي تنسب إلى الحاج محمد الهبري ، المتوفي عام 1901 في بني سنانس بالغرب الجزائري ؛ والعلوية المنتسبة إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة ، المتوفي عام 1934 بزاويته في مستغانم .

وتلي الزاوية الدرقاوية ، زاوية تافيلالت التي أسسها أشراف مدغرة ، وقد كانت ملجأً للثائرين أمثال الشيخ بوعمامة وأتباعه ؛ ثم زاوية مدغرة التي أسسها أحمد البدوي ، وأعاد تنظيمها الشيخ أحمد الهاشم بن العربي ، المتوفي عام 1892 ، وقد كان معارضا

للفيود الفرنسي في المنطقة ، فأعلن الجهاد ضد الفرنسيين في
تافيلالت عام 1888¹ .

تذكر لأتباع الدرقاوية مواقف مختلفة ، منها أنهم
كانوا لا يخالطون إلا الصالحين ، ويتفادون أصحاب السلطة ،
ويصدقون في أقوالهم ، ويكثرون الصدقات ؛ وقبلوا الوظائف
الدينية كالإمامة والقضاء ، ورفضوا الوظائف الإدارية الأخرى² .

كان أتباع الدرقاوية ضد الفرنسيين ، فظهر منهم المنادون
بالجهاد ، مثل مقدم الدرقاوية عبد الرحمن الطوطي الذي أعلن
الجهاد عام 1845 في نواحي بلعباس .

والحاج موسى الدرقاوي (المدعو بوجمار) الذي دخل من
المغرب إلى الجزائر بعد احتلالها ، واتصل بالحاج سيدي السعدي ،
وعيسى البركاني في متيجة ، ونسقوا معا حركة الجهاد ، عام
1833 .

وحارب الحاج موسى الفرنسيين مع الأمير عبد
القادر ؛ ثم نزل في أولاد نائل بمسعد ، وحارب بهم الفرنسيين ؛ ثم
دخل الأغواط وأنشأ فيها زاوية لطريقته " الدرقاوية

¹ - Depont, op . cit. , p. 508 .

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 113 .

المدنية " ؛ وعين خليفته له ، أحدهما محمد بلحاج على الجنوب ، والآخر قويدر بن محمد على الشمال ؛ ولكن الفرنسيين اعتقلوا خليفته قويدر ، وطاردوه في الوسط والجنوب على يد الجنرال " اللقيط يوسف جوزيف فنتيني " .

فانسحب الحاج موسى إلى بني يعلى بزواوة ؛ ثم تحول إلى متليلي عند الشعابنة ، عام 1848 ؛ وأثناء ثورة الزعاطشة عام 1849 ، كان إلى جانب زعيمها الشيخ بوزيان ، واستشهد معه ¹ . وقد ترك الحاج موسى ولدين ، أحدهما بقي على رأس زاوية درقاوة في الأغواط ، وهو أبو بكر .

وهناك من شيوخ درقاوة من رفض الارتقاء في السياسة والحياة الدنيا ، كالعربي بن عطية في الونشريس ، ومحمد بن ابراهيم بنواحي بلعباس .

ومن الشخصيات الدرقاوية البارزة في الدين والعلم ، وذات وزن كبير : عدة بن الموسوم بن غلام الله البوعبدلي ، الذي ولد عام 1202 هـ / 1787 م في الشلف ، وبعد أن حفظ القرآن ،

¹ - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 55-60 .

- ابراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر 1999 ، ص 126 .

- Maugin ; op . cit. , p . 97 .

درس اللغة والحديث والتوحيد والفلك على شيخ الطيبة محمد بن عبد الرحمن ، ثم انتقل إلى مازونة فأخذ بها الفقه على الشيخ أبي طالب المازوني ، كما أخذ عدة طرق صوفية ، آخرها الشاذلية الدرقاوية ، على يد شيخه العربي بن عطية .

وفي عهد الأمير عبد القادر ، تولى عدة بن غلام الله وظيفة القضاء على بلاد الظهرة ومينة ، بأمر من الأمير ، ثم تفرغ للعبادة والتعليم والإرشاد ، إلى أن توفي عام 1283 هـ / 1866 م ، تاركا عدة مؤلفات وقصائد . وتعرف زاويته الدرقاوية بزاوية أولاد الأكراد ، وكان على رأسها محمد غلام في آخر القرن التاسع عشر ، ثم خلفه عمه أحمد ولد عدة عام 1902 م ، وكان لها حوالي 3.500 من الأتباع .

وكان للشيخ عدة بن غلام الله تلاميذ ، استقلوا بزواياهم ، منهم : محمد الموسوم بقصر البخاري ، وابن عبد الله بن عبد القادر بمعسكر ، ومحمد الشرقي بالعطاف¹ .

في سنة 1882 ، كان عدد إخوان الشاذلية الدرقاوية في الجزائر ، بما فيها الفروع ، 14.574 إخوانيا ، و 268

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 115-117 .

مقدما ، و 32 زاوية ؛ وهم موزعون بين غرب البلاد وشرقها
ووسطها¹ .

ل - العليوية

تفرعت العليوية عن الشاذلية الدرقاوية ، وهي تنسب إلى
الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغامي ، المتوفي عام 1934 .

بعدها أخذ الشيخ ابن عليوة المبادئ العلمية ،
والتصوف عن الشيخ محمد البوزيدي ، وتصدر زاويته الدرقاوية من
بعده ، في مستغانم ، استقل وأسس بها زاوية خاصة به عام
1910 ، كما أسس زوايا أخرى في معسكر وغيلزان
وهران والجزائر وزواوة² .

بخلاف الجمعيات الصوفية الأخرى ، استعمل الشيخ بن
عليوة وسائل حديثة لنشر أفكاره وتعاليمه ، فقد اشترى مطبعة
للزاوية³ . وأنشأ صحفا كانت تنشر نشاطه ، وتدافع عن الزوايا
ضد مخالفاتها ومنتقديها ، منها الصحيفة الأسبوعية " لسان الدين " ،
وأهمها الصحيفة الأسبوعية " البلاغ الجزائري " ، التي اهتمت

¹ - Rinn : op . cit. , p . 264 .

² - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 127 .

³ - محمد الهاشمي بن بكار ، كتاب مجموع النسب ، الجزائر 1961 ، ص

بشؤون الجزائر السياسية والوطنية ، وأيدت الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية .

وقد دافع الشيخ ابن عليوة عن اللغة العربية ، ووقف ضد الاندماج والتجنيس بالجنسية الفرنسية ، وضد التقاليد والعادات الأوروبية ، وضد الحركات المعادية للأديان كالشيوعية .

ولجأ الشيخ ابن عليوة إلى الرسائل أيضا ، لنشر آرائه ، وهي تتضمن قضايا التصوف¹ ، والعبادات ، وقصائد الشعر ، ونسب إليه منها كتاب " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود " ، وكتاب " المنح القدوسية " .

وعرف على الشيخ ابن عليوة أنه ساند في البداية الحركة الإصلاحية ، وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ثم انضم إلى حركة منفصلة عنها ، وهي جمعية علماء السنة عام 1932 ، والتي ماتت في نفس فترة وفاة الشيخ ، عام 1934 .

وبفضل هذه الوسائل وغيرها ، انتشرت العليوية انتشارا سريعا وواسعا ، وشاع أمرها في بلدان المغرب العربي وحتى في السنغال ومدغشقر وآسيا ، وغيرها .

- Berque(A) , « Un Mystique moderniste : de Cheikh¹ Benalioua . » revue africaine
vol . 79 / 2 ,année 1936 , pp. 691 – 776

وبعد وفاة الشيخ ابن عليوة ، لم يكن له وريث ولا وصي ،
فخلفه على الزاوية ووارثا للبركة صهره " عدة بن تونس " وهو
أحد أتباعه وسائق سيارته ، وبقي شيخا للعلوية إلى وفاته عام
1952¹ .

م - البكائية

ينتمي البكائيون إلى الكنتي ، عمر بن أحمد
البكاي ، الذي ولد عام 910 هـ / 1504 م (ق 10 هـ / 16
م) ، وقد نشر عمر بن أحمد البكاي ورد القادرية حيث أخذه عن
الداعية الإسلامي الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي السبزي
انتشرت على يده القادرية في الصحراء والسودان .

أما أحمد البكائي الحفيد فقد ولد عام 1803 ، ودرس على
جده الشيخ المختار الكنتي صاحب التأليف ، ومنذ حوالي 1847
أصبح أحمد البكاي هو زعيم الطريقة القادرية في الصحراء ،
وأصبح له نفوذ روحي وزمني كبيرين ، امتد إلى سكوطو وبحيرة
تشاد ، وقصده المستنجدون والرحالة الأجانب ، وهو الذي فاوض
الاستعمار على أن تكون تمبكتو هي المدينة التي يديرها أهل سنغاي،
واحتج على احتلال الفرنسيين لورقلة ، وكاد أن يعد حملة ضدهم،

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 128 - 133 .

وحذرهم من التوسع في الصحراء والجنوب . كما تزعم الشيخ عابدين الطوارق ، ودعاهم للجهاد ضد الأجانب ، آخسر القرن التاسع عشر ، وكان بكائيا ¹ .

وإذا كان المقر الرئيسي للبكاية في تمبكتو ، فإنها منتشرة في الجهات الغربية والجنوبية من الجزائر ، سيما في مناطق توات والقرارة وبلاد الطوارق ² ، وقد عمر البكائيون زاوية كنته ، ولهم فيها أملاك كثيرة ، وفي أقبلي وسالي وأولف ، وغيرها ³ .

وكان أتباع البكاية يساعدون القوافل ، ويصلحون بين الناس ، ويوفرون الأمن للمسابلة والغرباء ، وقد لعبوا دورا كبيرا في أحداث افريقية بين السكان والمحتلين الفرنسيين والطامعين من الإنكليز والألمان .

ن - الطكوكية

تعتبر زاوية طكوك بنواحي مستغانم ، هي الزاوية الرئيسية الوحيدة للسنوسية في الجزائر ، أسسها سنة 1859 ،

¹ - نفسه ، ص 278 - 279 .

² - محمد حوتية ، " مخطوطات إقليم توات " مجلة معهد للبحوث والدراسات الافريقية ، ديسمبر 2001 ، جامعة القاهرة ، ص 124 .

³ - Deveyrier , op . cit. p . 321 .

الشيخ طكوك الشارف ولد الجيلاني عبد الله بن طكوك ،
المولود حوالي سنة 1794 بمجاهر ، قرب مستغانم ، أين درس
على عدة مشائخ في الناحية ، منهم شيوخ محمد بن علي السنوسي
نفسه ، كالشيخ محمد بلقندوز .

اعتقل الفرنسيون الشيخ طكوك في مركز عمي موسى ،
بسبب نشاطه وتأثيره على العامة ، ودام اعتقاله سنوات ،
وبعد إطلاق سراحه ، رجع إلى مجاهر وأنشأ زاويته في أولاد
شفاعة ، وذلك حوالي عام 1859 .

ثم اعتقل الشيخ طكوك في مستغانم ، أثناء ثورة ابن الأزرق ،
وثورة أولاد سيدي الشيخ ، عام 1864¹ .

وفي سنة 1877 ، اتهم الفرنسيون الشيخ طكوك
بإخفاء السلاح ، فصادروا ما في زاويته ، وساقوه إلى سجن
مستغانم ، كما اعتقالوه من جديد عام 1879 بنفس السجن أيضا .
وحسب " أجرون " أن الشيخ كان بإمكانه أن يثور عشرين ألفا
من الناس ، ولكنه مع ذلك دعاهم إلى الهدوء² .

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 266-272 .

² - Ageron ch . R. , les Algériens musulmans et la France 1871 -
1919 , Paris 1968 , T.1 , pp. 309 - 516 .

وفي سنة 1890 توفي الشيخ طكوك ، عن عمر 96 سنة ،
ودفن في زاويته ، وترك خلافته الروحية لأخيه أحمد طكوك ،
ولم تسلم الزاوية من الغلق مرة أخرى ، وزج بشيخها الجديد في
السجن .

وسجنت فرنسا أيضا أحمد بن الشيخ طكوك مؤسس الزاوية،
بعد رجوعه إلى الجزائر عام 1893 ، وذلك بعد غربة دامت خمس
سنوات في زاوية جغبوب بليبيا ، وتزوج أثناءها من أسرة الشيخ
المهدي السنوسي . وقد حل أحمد الإبن محل عمه على رأس
الزاوية عند اعتقاله ، وأثناءها كان الكتاب الفرنسيون يحذرون
من خطر السنوسية داعية الجامعة الإسلامية ، وبقي هذا الشيخ عدة
شهور في النفي والسجن بكورسيكا ، قبل عام 1900 .

وقد طال عهد أحمد بن طكوك مثل والده ، فتوفي عن 80
سنة من العمر ، وفي زمنه اشتهرت الزاوية الطكوكية بالعلم وتحفيظ
القرآن ، كما لاحظ ابن بكار¹ . وجاء ذلك في إحصاء عام
1897 ، حيث ذكر أن للسنوسية 950 إخوانيا ، وعشرين مقاما ،
وشيخا واحدا ، وزاوية واحدة² .

¹ - ابن بكار ، المرجع السابق ، ص 167 .

² Depont, op . cit. p . 567 -

ص - الطيبية

تأسست الطيبية في وزان بالمغرب الأقصى ، على يد الشيخ عبد الله الشريف المتوفي عام 1089 هـ / 1678 م ، ومن بعده تولى الزاوية ابنه محمد بن عبد الله الشريف ، وتوسعت في عهده ، وأصبح لها فروع ومقدمون في المغرب والجزائر ، وجاء بعده ابنه الثاني ، ثم أخوه الطيب الذي ظل على الزاوية من 1127 هـ / 1716 م إلى 1181 هـ / 1768 م ، وفي عهده ازدهرت الزاوية كثيرا ، وأصبحت تعرف بالطيبية¹ ؛ إلى أن تصل السلسلة بين الأبناء والأحفاد ، إلى الحاج العربي ، ثم ابنه عبد السلام ، ثم العربي بن عبد السلام الذي كان موجودا إلى سنة 1906 على رأس الزاوية ، وهو الشيخ الثاني والأربعون في سلسلة البركة الصوفية .

لقد كانت الطيبية تستمد أصولها من الشاذلية ، وهي تدعو إلى التقوى ، مع التقرب إلى الله ، والقيام بالواجبات الدينية ، والابتعاد عن الحياة الدنيا وزخرفها ، وتقوم بفعل الخير ، وإطعام الفقراء ، والتدخل لحل الخلافات بين الناس ، وإصلاح ذات البين .

¹ - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 522 - 523 .

ومع ذلك ، فإن واقع الطيبة جعلها عبارة عن جمعية دينية ذات وزن سياسي .

فهذا محمد بن عبد الله المعروف بـ " بومعزة " كان من إخوان الطيبة ، وقد حارب الفرنسيين في موازاة الأمير عبد القادر في عدة معارك ، واشتهر بأحداث الظهرة عام 1845 ، إلى أن استسلم إلى السلطات الفرنسية عام 1847 ، وحملته الفرنسيون إلى سجن " بو " بفرنسا¹ .

غير أنه منذ عام 1891 ، حين كانت فرنسا تقوم بالاستيلاء على الصحراء وأراضي الجنوب ، كانت في حاجة إلى دعم مشائخ الصوفية . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الشيخ عبد السلام شريف وزان ، قد سبق له أن تزوج من معلمة انكليزية ، ودخل تحت نظام الحماية الفرنسية ، الذي فرضته الدول الغربية على سلطان المغرب ، الحسن الأول (1873 - 1894) ، بحيث يمكن لرعاياه أن يكونوا رعايا دولة أجنبية باختيارهم ، وفي هذا الإطار ، جاء إلى الجزائر شريف وزان الشيخ عبد السلام بن العربي ، في زيارة رسمية ، واستقبله الحاكم العام " جول كامبون " ، وحصل في هذه الزيارة على موافقة أهل القرارة على

¹ - بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 79 - 85 .

الدخول تحت الحماية الفرنسية . وبعد ذلك ، ظلت الصلة قائمة بين الفرنسيين ورجال الطيبة ¹ .

وتنتشر الطيبة في غرب الجزائر وجنوبها الغربي ، وفي وسطها وشرقها .

وفي سنة 1897 قد كان للطيبة 22.148 من الإخوان ، و 08 زوايا ، و 234 مقدا ، وليس لها شيوخ في الجزائر ² .

4- موقف الاحتلال الفرنسي من الصوفية

كانت كل جمعية صوفية متماسكة فيما بينها ، كثيرة المال والأتباع ، قوية السمعة ، لها شيخ شهير يعترف به جميع الأتباع ، ومن ثمة كان لها وزنها وخطرها ، بحيث تخيف الاحتلال الفرنسي . لذلك اعتبرها الفرنسيون عدوهم اللدود ، فتصدوا لها بتشتيت صفوفها ، وتمزيق وحدتها ، واستعمال القوة معها ، وشراء الدم ، وتزويج بعض رجالها من فرنسيات ، والتحالف معهم ³ .

¹ سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 94 - 102 .

² - Rinn : op . cit. , p . 384 .

- Depont , op . cit. , p . 489 .

³ - Taillart ch. ; l'Algérie dans la littérature française , Paris 1925 , p . 400 .

وبهذه الإجراءات تضعضت وحدة الصوفية ، وتفرعت إلى فروع ضعيفة ومتنافسة ، لا تعترف ببعضها ، ولا بتبعية الشيخ الواحد . ولم يأت آخر القرن التاسع عشر حتى تمزقت الرحمانية إلى 25 فرعا ، والدرقاوية إلى ثمانية فروع ، والقادرية إلى ستة فروع¹ .

كما قررت فرنسا مراقبة الزوايا عن كثب ، والتحكم في مداخلها المادية ، ومنع إعطاء الرخص لجمع أموال الزيارات ، ومنع الشيوخ من زيارة أتباعهم بدون ترخيص .

وحملت فرنسا الصوفية مسؤولية ثورات عديدة ضد الاحتلال في الجزائر ، منها ثورة بوعمامة ، ومقتل بعثة فلاترس ، في الصحراء² .

ودفعت فرنسا الشيوخ إلى أن يعلنوا ولاءهم لها ، وقد اتبع الحاكم العام " جول كامبون " أسلوبا جديدا نحو الطرق الصوفية ، وهو استمالة رؤسائها ، فاستمال زعيم أولاد سيدي الشيخ ، وتفاوض مع بوعمامة ، وعرض عليهم الوظائف ، ولا سيما الدرقاوية والرحمانية ، وسلم الأوسمة إلى بعض الرؤساء . وكان " كامبون " يسعى إلى تدجينها واستعمالها في خدمة المصالح الفرنسية ،

¹ - Depont, op . cit. , p . 247

² - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 30 - 32 / 326 - 329 .

لا سيما في الصحراء¹ ، وسار على سياسته
الحاكمان العامان " شارل جونار " (1903 - 1912) ،
و " شارل ليطو " (1912 - 1918) .

كما استخدمت الإدارة الفرنسية نفوذ الطرق الصوفية خلال
الحرب العالمية الأولى والثانية ؛ فساهمت في تهدئة السكان
الجزائريين، ودعتهم إلى الوقوف بجانب فرنسا ضد ألمانيا وحليفاتها
تركيا .

واستمرت السلطة الفرنسية في محاولة توظيفها لمعارضة
التيارات السياسية والإصلاحية التي برزت في الجزائر منذ
1920 ، كحركة الأمير خالد ، ونجم الشمال الإفريقي ، وجمعية
العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931² .

¹ - Ageron , op . cit. , T.1 , pp. 306 - 315 / 514 - 515 .

² - أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزائر 1983 ، ج 2 ،
ص 371 - 436 .

الفصل الثالث

العزابة بوادي ميزاب

* نظام العزابة

* الدور الديني والاجتماعي والتربوي للعزابة

* العزابة ومقاومة الاحتلال الفرنسي

1- التعريف بنظام العزابة في وادي ميزاب

بعد سقوط الدولة الرستمية ذات المذهب الخارجي الإباضي على يد الفاطميين أصحاب المذهب الشيعي الباطني الإسماعيلي ، عام 296 هـ / 909 م ، هاجر بقية الرعايا الرستميين إلى مدينة وارجلان ونواحيها في الجنوب الجزائري ، وحتى لا تتمزق جماعتهم ويندثر مذهبهم الإباضي ، ابتدع أصحاب الرأي فيهم نظام العزابة الذي يخلف الإمامة ، ويحفظ مجتمعهم ، ويتلائم مع أوضاعهم . وكان الذي وضع أسس هذا النظام هو " أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي ، أحد علماء الإباضية ، سنة 409 هـ / 1018 م " ¹ .

لقد بدأ نظام العزابة لغايات تعليمية توجيهية ، الهدف منه تكوين التلاميذ، ولكنه تطور مع تطور الظروف والعوامل المحلية والخارجية، فتوسعت رعاية الفرد في المجتمع الإباضي في جميع مناحي حياته الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية ، وقد تجلّى هذا التطور على أكمل صورة بعد تكون مدن ميزاب السبع ، وهي العطف ، بنورة ، بني يزقن ، غرداية ، مليكة ، بريان ، و القرارة واقتضى التنظيم الاجتماعي لهذه المدن التي تكون مجتمعا واحدا ، أن تكون هناك هيئة تشرف على تسيير

¹ - محمد ناصر ، حلقة العزابة ، الجزائر ، 1989 ، ص 05 .

هذا المجتمع بطريقة تكفل له الاستمرارية في ظل دينه الإسلامي ، ومذهبه الإباضي ، وعاداته ونظمه . " وتبلور نظام العزابة بصفة أخص بعد بداية الحركة الإصلاحية في العصر الحديث " ¹ .

وهكذا تكون لكل مدينة في وادي ميزاب مجلسها الديني، ويسمى أعضاء المجلس " العزابة " ² والعزيب هو الرجل الذي يتعد عن أهله وماله، وينقطع لعمله الذي تفرّغ له ، وقد اختير هذا الاسم لأعضاء المجلس الديني ، لأنهم يعطون أنفسهم لله وللخدمة المجتمع ، والقيام بوظائفهم الدينية في المسجد ، وإرشاد الناس وتوجيههم .

ودفعا للحاجة المادية ، فإن الذي ينضم إلى المجلس الديني يتطلب فيه أن يكون صاحب عمل أو حرفة حرة ، فأعضاء العزابة كلهم يكسبون قوتهم من كد يمينهم ، ففيهم الفلاح ، والتاجر ، والعامل ، والمعلم ، واعتمادهم على أنفسهم في كسب القوت يضيف على مهنتهم الدينية صفة التزاهة والتعفف ، كما أن اشتغالهم بهذه الأعمال يجعلهم أدخل في الحياة الاجتماعية ، وأكثر احتكاكا

¹ - نفسه ، ص 10 .

² - دبور ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها الباركة ، ج 1 ، دمشق 1965 ، ص 193 .

بفئات المجتمع في حياته اليومية ، وهذا ما يساعدهم على معرفة واقع الناس وإدراك مشاكلهم ، وتحليل قضاياهم ، والحكم على آرائهم ومواقفهم¹ .

إن مجلس العزابة يهدف إلى تنظيم حياة وادي ميزاب تنظيماً إسلامياً قائماً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذلك لا يدخل في عضويته إلا من توفرت فيه الشروط التالية² :

أ- حسن السيرة مع حفظ القرآن الكريم كله .

ب- التزاهة في معاملاته اليومية ، وإن يكون متزوجاً .

ج- الكفاءة العلمية، والقدرة المالية حتى لا يكون عالة على المجتمع .

يقول الأستاذ إبراهيم محمد طلاي ، وهو أحد أعضاء مجلس العزابة :

"ونظام العزابة، نظام اجتماعي مبني على مراعاة الدين والمحافظة عليه، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإرشاد الجهلة والاغرار، ولهذا النظام يرجع الفضل في بقاء رونق

¹ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 15 .

² - بكير بن سعيد أعوش ، محمد بن يوسف اطفيش ، غرداية 1989 ،

ص 52 .

الإسلام وطهارته في ميزاب فترة من الزمن طويلة ، وفي محافظة
غالب السكان على تعاليم الإسلام وأتباع منهجه " ¹ .

إن مجلس العزابة هو الهيئة العليا في المدينة ، لها النفوذ الروحي
على المجتمع الإباضي والسلطة المطلقة في كل ماله علاقة بالدين ² .

لذلك يختار أعضاء المجلس الديني من خيار المدينة، فكل مدينة
تختار مجلسها من بين الذين اتصفوا بالعلم، والورع، والإخلاص،
وحسن التدبير، وحفظ القرآن ، وعمارة المساجد.

ولا ينخرط في سلك العزابة إلا من ترتضيه صفوة المدينة
وخاصتها ، وللمجلس الديني الكلمة النهائية في قبول العضو ، أو
رفضه ³ .

ويقوم العزابة بوظائفهم الدينية ، وواجباتهم ، وأعبائهم في
المجتمع لله ، لا لغيره ، ولا يأخذون أجرا ماديا على عملهم ، ولا
يجوز لهم ذلك .

¹ - ابراهيم محمد طلاي ، ميزاب بلد كفاح ، قسنطينة ، 1970 ، ص
39.

² - أحمد توفيق المديني ، كتاب الجزائر ، الجزائر 1984 ، ص 110 .

³ - دبوز ، المرجع السابق ، ص 194 .

ويتركب مجلس العزابة من اثني عشر عضوا¹ ، يكونون المجلس الديني ، غالبا ، ولا يتجاوزونه إلا إذا اقتضت العملية ذلك ، مثل التوسع العمراني والسكاني ، وتنوع مصالح الناس ، مما يتطلب التفرغ لكل هذه المهام . وإلحداث عديدة بنواحي المدينة ، يتوزع العزابة للإشراف عليها وتسييرها ، ولكنهم يتصرفون جميعهم وفق مجلس واحد يضمهم جميعا ، ولهم جلسة أسبوعية معينة ، يلتقون فيها للتدارس والتشاور ، واتخاذ القرارات والتوصيات .

ولكل عضو من الأعضاء الاثني عشر الذين يكونون مجلس العزابة ، له مهمة خاصة² . ف رئيس المجلس هو الشيخ أو المفتي ، وهو الذي يتولى الوعظ في المسجد والتدريس ، كما أنه يرجع إليه في الفتوى ، ثم هناك الإمام ، والمؤذن ، ووكيل أو وكيلان يشرفان على أوقاف المسجد، ويصرفانها في مواضعها ، ثم ثلاثة معلمون لتعليم الصغار ، والسهر على الأمن ، والمحافظة على النظام في المسجد أو غيره ، ويضاف إلى هؤلاء خمسة أعضاء مساعدون ، تسند إليهم مهمات اجتماعية ، كتجهيز الموتى .

¹ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 12 .

² - طلاي ، المرجع السابق ، ص 41 .

ولكي يؤدي المجلس الديني دوره داخل شرائح المجتمع كان لابد من إيجاد نظام يساعد عمليا على أداء هذا الدور . لذلك يوجد خارج المسجد مجلس الجماعة الذي يترأسه العزابة ، وهو يتكون من شيوخ العشائر في البلد ، وهم يمثلون الهيئة التنفيذية ، ويكونون في الغالب من أهل الرأي والتدبير والحكمة ، غير متفرغين لطلب العلم والقيام بشؤون الدين مثل العزابة .

كما يساعد الجماعة هذه على أداء مهامها المتعددة في البلد ، مجلس " المكاريس " ¹ الذي يتكون من العوام ممن يتصفون بالشجاعة والقوة واليقظة . وتكون مهمة هؤلاء الرئيسية المحافظة على أمن البلد والحراسة على ممتلكات الناس وحرمتهم .

ولكل هيئة من هذه الهيآت المذكورة شروط معلومة ومواصفات دقيقة ، ولوائح داخلية خاصة بها ² .

ومن أهم المجالس المساعدة ما يعرف بمجلس " تمسردين " ³ أو الغاسلات . فكما اقتضى النظام الاجتماعي وضع مجالس خاصة

¹ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 43 .

² - نفسه ، ص 43 .

³ - نفسه ، ص 44 .

بالرجال، فكذلك يوجد مجلس خاص بالنساء، يتولى شؤون المرأة.

وأطلق على مجلس النساء اسم الغاسلات ، لأنهن يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال، فغلبت عليهن هذه الصفة ، ومنهن يتكون المجلس الديني للنساء، ويكون عددهن في الغالب اثنتي عشرة امرأة . أما العضوات فتختارها هيئة العزابة من مختلف عشائر البلدة ، من صالحات الأسر ، ويشترط فيهن التقوى ، والعفة ، والحياء ، وحسن السلوك ، والورع ، وحسن التدبير ، والحنكة في معالجة الشؤون العائلية ، وتطبيق أوامر العزابة في المجتمع النسوي .

2- الدور الديني للعزابة

إن جمعية العزابة إنما أنشئت لتكون الإمامة الصغرى التي تنظم حياة المجتمع الإباضي ، بعد سقوط دولته الرسمية لذلك كان من مهام العزابة وصلاحياتهم التشريع والتنفيذ .

فجمعية العزابة تمثل سلطة الإمام الحاكم وتقوم مقامه في مهامه وواجباته باستثناء إقامة الحدود التي يعطلها الإباضية ، حتى لا يخالفوا السلطات الإدارية الحاكمة ويدخلوا في صراع معها .

.وتعتبر المهمة الأساسية لجمعية العزابة هي الوظيفة الدينية في المسجد، مثل المفتي ، والإمام ، والمؤذن ، وناظر الأوقاف ، ومؤدب الصبيان ، وغسلة الأموات.

لقد تسند الرئاسة للأعلم ، والأفقه ، والأقدم ، والأكبر سنا في الجمعية . أما الإمام فيراعى فيه التقوى، والصلاح، والحزم ، والتقوى في الدين ، والصوت الجمهوري ، والسلامة من العيوب الخلقية¹ .

وتعد وظيفة الآذان من أهم الوظائف في المسجد، لأنها تتطلب من القائم بها دقة، وانضباطا ، وحضورا مستمرا ، ونشاطا، وسلامة جسدية .

وتعتبر مهمة الوعظ والإرشاد من أهم مهام الجمعية ، وهي التي تناط لرئيس المجلس ، وتولى بعناية ومتابعة وحضور .

ولما كان المسجد هو الموجه والمربي والواعظ والمعلم للمجتمع، فكانت الجمعية تحرص على وظيفة الوعظ والإرشاد ، وكان المجلس الديني ينتقي لها أكفأ أعضاء الحلقة تجربة ، وأغزرهم علما ومعرفة ، وأفصحهم لسانا² .

¹ - دبوز ، المرجع السابق ، ص 197 .

² - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 17 ... 19 .

لقد استطاع بعض الشيوخ أن يتركوا الأثر البالغ في النهضة الإصلاحية الحديثة بوادي ميزاب ، أمثال الشيخ أطفيش والشيخ بيوض.

فبعد الحرب العالمية الأولى على حد قول محمد ناصر " حول الشيخ بيوض بنظره الثاقب ومواهبه الفذة المسجد في القرارة إلى مركز إشعاع علمي بآتم معنى الكلمة ، وأصبح المسجد ، في عهده، جامعة مفتوحة يؤمها كل الناس .

إن هذا الانقلاب العظيم الذي تزعمه الشيخ بيوض يعود إلى نهجه التربوي الرشيد الذي يتبعه في دروس تفسير القرآن الكريم ... وقد انطلق هذا الإشعاع من مسجد القرارة ليعم سائر مدن ميزاب " ¹ .

إن الشيخ بيوض كان رئيسا لجمعية العزابة مدة نصف قرن تقريبا ، وكان يتمتع بالفصاحة والبيان ، وحدة الذكاء ، وسعة المعرفة ، وقد استطاع الشيخ بيوض أن يزرع في الناس هبة جليلة للمسجد ، وتأييدا لنظمه ، واستعدادا للإستجابة إلى كل ما يحليه المسجد أو يدعو إليه .

¹ - نفسه ، ص 20 .

هذا وقد يوفد المجلس الديني أعضاء من حلقة يقومون بدورات الوعظ والإرشاد في المدن خارج وادي ميزاب ، حيث يوجد الإباضيون تجارا وموظفين .

إن المفتي أو شيخ المسجد ، والإمام ، والمؤذن هم رؤساء العزابة وعمدتهم ، يواظبون على أعمالهم ، لا يتخلف أحدهم¹ .

ويعتقد العزابة أنهم كلهم مسؤولون عن هداية العامة ، وإرشادها ، ونصحها ، وتعليمها أمور دينها ، وتثقيف عقولها .

إن العزابة هم محل احترام أهل المدينة وإجلالهم ، وإكبارهم لدينهم ، وعلمهم ، وخدمتهم للمدينة ، وقيامهم بالدين . فالعزابة يختلطون بالعامة في كل أحوالها ، ويجتمعون بها دائما في المسجد في الصلوات الخمس ، وفي دروس المسجد ، وفي أفراحها وأحزانها ، أو أي مناسبات ، ونشاطات أخرى .

ويقوم العزابة بتلاوة القرآن في المسجد ، ومعهم قدماء التلاميذ الذين استظهروا القرآن . وتكون التلاوة جماعية بدون مصحف ، فيما بين صلاتي المغرب والعشاء ، وقبل صلاة الفجر ، وما بين صلاتي الظهر والعصر .

١ - عوض محمد خليفات ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في

شمال إفريقيا ، عمان ، 1982 ، ص 43 .

وقد تبلغ الحلقة التي تترتل القرآن خمسين قارئاً أو أكثر ،
يبدأون القرآن من سورة البقرة إلى سورة الناس ، ويقرأون في كل
وقت جزءاً من القرآن ، ويعتبر مجلس التلاوة ، هذا ، وسيلة
لحفظ القرآن ، ووسيلة للتذكر لمن نسي .

وفي شهر رمضان لا ينقطع القرآن من المسجد ، ففي آخر
شعبان يقسم العزابة وقدماء التلاميذ أنفسهم فرقاً ، تتولى كل فرقة
تلاوة القرآن في وقت معلوم .

وأيضاً في شهر رمضان ، توزع الصدقات على الفقراء في
المسجد قبل المغرب وفي وقت السحور ، فيقصد الفقراء
المعدومون مساجد ميزاب لنيل التمر والخبز ما يكفي فطورهم ،
وفي وقت السحور ينالون الخبز والكسكس ما يشبعهم، إن هذه
الصدقات أوقاف علقها المحسنون في أملاكهم للمسجد .

ومن غير شهر رمضان للفقراء وتلاميذ الكتاتيب وقف دائم
في المسجد ، من التمر يوزع عليهم يومياً كغذاء يزودون به .

إن العزابة هم الذين يقومون بأوقاف المسجد ويشرفون على
توزيعها ، فللمسجد وكيل من العزابة يتولى أموره المادية كلها¹ .

١ - ديوز ، المرجع السابق ، ص 220 ، 221 .

3- الدور الاجتماعي للعزابة

يعتبر العزابة هم العمود الفقري لجميع التظاهرات الاجتماعية، يشاركون فيها بحضورهم اليومي ويشرفون عليها .

ولا يقتصر دور العزابة على المشاركة المظهرية في المناسبات ، إشرافا وتسييرا ، بل هم يؤدون دورا أساسيا في وضع نظامها المحكم ، حتى لا ينحرف المجتمع وراء مظاهر الإسراف والانحلال ، ولا ينساق تحت تأثير الغلو ، وحتى لا يفقد المجتمع أهم مقوم له وهو التوازن بين أفراده ، والتماسك والتضامن بين جماعاته تحت تأثير التصرفات الفردية وطغيان الأنانية .

لذا يحرص العزابة كل الحرص على متابعة ومراقبة ما يجري في المناسبات الاجتماعية ، فيحددون المهر أو الصداق ، ونفقات الزفاف والولائم ، وكيفيات الحفلات، حتى لا تظهر المادية، والمنافسة المظهرية بين العائلات بطريقة تؤثر على المستوى المادي للفقير الذي لا يستطيع مسايرة الأغنياء والأثرياء .

ولحماية أخلاق الشباب من التدهور ، وضعت جماعة العزابة، بمساعدة جماعة المدينة ، لوائح تنظيمية تساعد بها من يرغب في الزواج من الفقراء ، فكان الحض على التكافل الاجتماعي الذي يكون بين الطبقات ، وذلك حتى ينضم إلى الغني القادر عدد من الفقراء الذين يرغبون في الزواج .

فأصبحت الأعراس الجماعية ظاهرة اجتماعية ، فمع كل أسرة غنية مجموعة أسر أخرى تنضوي تحت جناحها ، ويقوم الغني بجميع المصاريف الضرورية .

وبهذا التنظيم استطاع المجتمع أن يتغلب على ظاهرة العزوبة والعنوسة ، ويقضي على الانحلال الخلقي¹ .

وكما يشرف العزابة على أعراس الزواج ، فهم يقومون بتنظيم ورعاية جميع الأفراح كالميلاد ، والعقيقة ، وختان الصبيان ، والأعياد إلى غير ذلك .

ولا تقتصر حفلات الأعراس التي يرأسها العزابة على الوليمة وعلى الأناشيد المطربة فقط، بل تتوج بدرس بليغ يفيد الناس ، يلقيه أحد العزابة ، أو أحد العلماء الذين هم عون للعزابة .

ويشتمل الدرس على حكمة الزواج ، وواجبات الزوجين ، والعشرة الحسنة ، والحياة البيتية، والتنديد بالهفوات والكسل والإسراف، وسوء العشرة . كما يحتوي الدرس أيضا على تربية الأطفال وتعليمهم .

وكذلك ، في الولائم والأعياد التي يرأسها العزابة ، فيخطبون العامة والخاصة بما يفيدهم .

¹ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 25 ، 26 .

ومن أعمال العزابة تجهيز الموتى ، فيشرفون على غسلهم ،
وتكفينهم ، والصلاة عليهم ، وتشيع جنازتهم ، ودفنهم ، ومواساة
ذويهم ، وتنفيذ وصاياهم ، وتقسيم تركتهم بين مستحقيها ،
ويقوم العزابة على شؤون الأيتام والأرامل ، وضمان كفالتهم .

وتكون هذه المناسبة فرصة للعزابة للتأكيد على المحافظة على
الوحدة والتضامن والتعاون بين أفراد المجتمع .

ولا تنتهي الجنازة في المقبرة دون أن يقرأ الإمام خطبة كلها
مواعظ ، وهي مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
تذكر بالموت والحساب والعقاب ، وتدعو الناس لاغتنام دنياهم
لبناء آخرتهم ، ثم يختم خطبته بالدعاء للمسلمين والحاضرين ، وبعد
ذلك ينصرف الناس متأثرين بالوعظ والإرشاد ، وأكثرهم استعدادا
لعمل الخير والصالح¹ .

ويقوم العزابة على جمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على
مستحقيها بطريقة تكفل لهم الحياة الاجتماعية المتوازنة.

وقد يتدخل أحد العزابة في البحث عن عمل شريف لمحتاج أو
يتيم أو عاطل ، كما يسعى لحفظ كرامة ذوي العاهات والأرامل
والمرضى والمحتاجين إلى مساعدة إخوانهم الموسرين .

¹ - دبوز ، المرجع السابق ، ص 203 ... 205 .

كما تتدخل جماعة العزابة في مراقبة البيع والشراء في الأسواق ، ومحاربة الانحراف في التعامل التجاري ، مثل الغش والتطفيف والاستغلال والاحتكار ، وكل المظاهر التي نمت الشريعة الإسلامية عنها¹ .

ومن أعمال العزابة أيضا فض المشاكل ، وإنهاء الخصومات ، والصلح بين المتنازعين ، وإن أغلب الخصومات يذهب بها أصحابها إلى العزابة الذين يفضونها في وقت قصير ، وإن المتخاصمين يثقون بالعزابة كل الثقة ، لأنهم يحكمون ، بدين الله ، ويتصفون بالورع والعلم الذي يترهم من المحابة والعصبية والتهاون والعجز في القضاء ، فيسلم المتخاصمان بحكمهم ، ويخرجان من المسجد متصالحين .

إن العاصي في وادي ميزاب إذا ارتكب كبيرة ، كالسرقة ، واغتصاب الحقوق ، أو ترك الصلاة ، أو شرب الخمر ، أو نحو ذلك مما حرمه الله ، تناديه عشيرته فتنهاه ، فإن تاب فذلك ، وإلا رفع أمره للعزابة ، وبعد الصلاة الجامعة يقف الشيخ ليعلن البراءة من المذنب ، فتقاطعه المدينة كلها لا تكلمه ، ولا تتعامل معه ، ولا تزوجه ، وإذا كان تاجرا لا تشتري منه ، وإذا كان أجيورا

¹ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 28 ، 33 .

لا تستخدمه، ولا يدعونه إلى مجالسهم ، وإذا دعاهم لا يجيبون، ولا يسلمون عليه ، ولا يردون على سلامه ، ولا يعينونه إذا حلت به كارثة ، ولا يقبلون صدقته ولا يغسله العزابة إذا مات، ولا يمشي الناس في جنازته ، ولا تقبل توبته إلا في المسجد وعند اكتضاضه لحضور صلاة الجماعة .

إن التطبيق الصارم لمبدأ البرأة هو الذي حفظ وحدة الأباضية وغماسكهم¹ .

4- الدور التربوي والتعليمي

يقوم العزابة بمهمة تربية النشئ ، حيث تبني الكتاتيب إلى جانب المساجد، ويدير كل منها أحد العزابة .

ويتعلم النشئ في هذه الكتاتيب القراءة، والكتابة ورسم القرآن وحفظه، وشيء من السيرة النبوية، وما تيسر من الأحاديث، وما يتصل بفقه الصلاة هذا بالإضافة إلى التربية الخلقية.

وإذا حفظ التلميذ القرآن واستظهره ، ينتقل إلى دار التلاميذ ، وهي تابعة للمسجد ، ويشرف عليها العزابة أيضا .

¹ - دبوز ، المرجع السابق ، ص 209 ... 211 .

- دي موتلنسكي ، " الإباضيون " دائرو المعارف الاسلامية ، المجلد الأول،

ص 14 .

وتدرس في دار التلاميذ العلوم الشرعية من فقه وأصوله،
والتوحيد والتفسير، والحديث، والميراث، والعلوم العربية من نحو،
وصرف وبلاغة وعروض، وبعض العلوم العقلية كالمنطق
والحساب¹.

وتعتبر الدروس في دار التلاميذ ابتدائية وثانوية، يقوم بها
مدرسون متطوعون بدون أجر²، ويشترط في تلاميذ الدار حفظ
القرآن حفظا جيدا واستظهاره كله، وحسن السيرة، والمواظبة على
حضور صلاة الجماعة في المسجد، وإلا طرد التلميذ من الدار من
قبل مديرها.

وذكر "الدكتور محمد ناصر" : "أن النهضة الإصلاحية
ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى أبدلت بالكتائب العتيقة المدارس
الحرّة المنظمة تنظيما عصريا مبني ومعنى، ومناهج.

وأصبحت هذه المدارس تابعة للجمعيات الخيرية المنبثة في كل
مدن الوادي تحت إشراف العزابة توجيها وتسييرا في الأغلب الأعم.
بل إن المعاهد الثانوية في وادي ميزاب ترتبط بالمسجد ارتباطا وثيقا

¹ - دبور، المرجع السابق، ص 213.

² - عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 62.

لتظل هذه الصلة الروحية والمادية قائمة بين المدرسة والمسجد، ولينشأ التلميذ في حضن بيت الله تربية وتعلّيماً¹

ويضيف قائلاً : " وقد أسست هذه الجمعيات الخيرية تحت رعاية المسجد كل مؤسساتها التربوية الأخرى مدارس ابتدائية وثانوية ، مكاتب وداخليات وجمعيات ثقافية ونوادي وضمنت للتلاميذ والطلاب الاستفادة منها مجاناً دون أي مقابل مادي لأن ذلك يتكفل به المتبرعون المحسنون " ² .

وقال الأستاذ محمد علي دبوز : " كانت هذه المدارس الخيرية الحرة الميزابية في عهد الاستعمار تعوض للتلاميذ في طرفي النهار مالا يجدونه في المدارس الاستعمارية من العربية والدين وحفظ القرآن . تأخذ ساعتين في الصباح وساعتين في المساء قبل دخول التلاميذ في المدارس الحكومية وبعد خروجهم ، وتلاميذها كلهم يذهبون إلى المدارس الحكومية " ³

أما في دزوس المسجد، فيعينّ العزابة أعلمهم وأفصحهم لوعظ العامة وإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم ، ويعتني العزابة بهذه

¹ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 32 .

² - نفسه ، ص 32 .

³ - دبوز ، المرجع السابق ، ص 200 .

الوظيفة كل الاعتناء ، فلا يرضون أن يتوقف درس المسجد وينقطع الوعظ والإرشاد منه .

ويحضر دروس المسجد العزابة وتلاميذ دار العلم والعامّة، وتعرض هذه الدروس لأمراض المجتمع ومساوئ الأخلاق، فتشرّحها ، وتبين أضرارها للفرد والجماعة ، وتحذر منها ، وتصف العلاج لدائها .

ويدرس في المسجد فقه العبادات ، والأحاديث النبوية لا سيما ما يتصل بالأخلاق وفضل العبادات . كما يدرس تفسير القرآن، وسيرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، وتتخلل جميع دروس المسجد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فهي عماد المدرس لتأييد معانيه ومقاصده ، وكذلك يشد بها انتباه الحاضرين واهتمامهم .

وكتب الأستاذ دبوز في هذا المجال قائلا : " وقد تطورت دروس المسجد في بعض البلدان الميزابية كالقرارة وبريان ، والعطف في عهد النهضة الحديثة ، فصارت نارا على الفساد والإلحاد الذي يبيثه الاستعمار وأذنا به في المجتمع الجزائري والميزابي ، وترى المسجد غاصا في وقت الدروس ، والناس يسارعون من أماكن بعيدة لحضورها سيما دروس العلامة الشيخ بيوض في مسجد القرارة ، فإن الناس يسافرون في المواسم، والأعياد من بلدانهم ليحضرُوا

درس الشيخ الممتاز في الموسم ، إنه يتناول الأمراض الاجتماعية ، ويعرض المجتمع على الكتاب والسنة ، فيبين خلله ، وأسباب الضعف التي ابتلي بها المسلمون¹ .

5- دور العزابة في مقاومة الاحتلال الفرنسي

تحمل العزابة مسؤولية الدفاع عن المجتمع الميزابي ضد جميع أشكال التدخلات الأجنبية، والاحتلال الفرنسي لمنطقة وادي ميزاب ، وذلك بصفتهم قادة هذا المجتمع في حالات الأمن والاستقرار ، أو حالات الفتن والحرب والاضطراب .

وقد تكون المقاومة امتدت بشكل أو بآخر ، إلى بعض المناطق من الصحراء ، حيث جاء في رسالة بعث بها " الجنرال مارشريت" إلى القائد الأعلى بالجزائر ، يذكر فيها الأسباب التي دعت إلى احتلال ميزاب في نوفمبر من سنة 1882 ، يقول فيها : " لقد قررت الزحف على غرداية لأن جميع المقاومة التي تعرضنا لمهاجمتها في الصحراء تستمد سلاحها من ميزاب ، ولقد رأيت هؤلاء يمسوننا باليد اليمنى ويمدون الثوار باليد اليسرى، ولعل الأشد غداً لنا هم الطلبة الذين يسمون العزابة ، وقد كان

¹ - دبور . المرجع السابق ، ص 201 .

أول عمل قمت به هو سجن شيخم " أطفيش " الذي أعلن الجهاد
ضدنا " ¹ .

وبعد الاحتلال الفرنسي لميزاب سنة 1882 ، كتب "
لفتسكي " الباحث البولوني: " استمر شيوخ العزابة في التمتع
الدائم بالسلطة الروحية الكبيرة على المدن الميزابية ، ورغم فقدان
السلطة السياسية ، إلا أن سهر العزابة على تطبيق تعاليم المذهب
الأباضي ، باستعمال البراءة في الحالات الخطيرة ، جعل سلطة مجلس
العزابة لا تزال دائما جد كبيرة ، وتملك الوصاية على جميع
المواطنين الأباضيين بميزاب ، ويبقى مجلس العزابة هو الهيئة الدينية
والروحية العليا للميزابيين " ² .

لقد ظلت المقاومة في وادي ميزاب رافضة للاحتلال الفرنسي
وأشكاله وأساليبه ووسائله طيلة عهده ، ومن الوسائل التي اتخذها
المقاومة في مواجهة الاحتلال ، التشبث بالقيم الأصيلة دينا ولغة ،
وقد لعبت المساجد دورا كبيرا في نشر اللغة العربية لكونها لغة
القرآن ولكونها أيضا البديل الطبيعي الذي سيقف في وجه ثقافة

¹ - علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الرابعة ، غرداية ،
1986 ، ص 596 .

² - لفتسكي تادوز ، " الحلقة " دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث
(اقتباس من الفرنسية) ، ص 97 ... 101

المحتل وأساليبه ووسائله ، مما أعطى للصراع بين العزابة والمحتل طبيعة سياسية في شكل ديني أو ثقافي .

ولعل من أشكال المقاومة التي قام بها العزابة ، وقوفهم ضد التجنيد العسكري الإجباري ، حين عازمت سلطات الاحتلال تطبيقه على سكان وادي ميزاب ، ودام هذا الصراع طويلا من سنة 1912 إلى غاية سنة 1943 ، وفضل الميزابيون أداء الضرائب الباهضة مقابل الحفاظ على دين أبائهم وأخلاقهم¹ .

وفي هذا المجال ، وبمدينة القنطرة ، لما حاول العسكريون الفرنسيون تجنيد الشبان إبان الحرب العالمية الأولى بوسائل قمعية ، دعا مجلس عزابتها جميع السكان إلى تحدي هذه الإجراءات ورفضها بقوة ، وقد أدى هذا التحدي إلى نفي وسجن بعض أعضاء المجلس ، وتسليط عليهم أشد العذاب ، ومعاملتهم معاملة القهر والإذلال .

وهذا الإمام الشيخ بيوض ، وهو من العزابة ، قام بإعلان الحرب والمقاومة ضد فساد القياد وأتباعهم ، وقد بلغ الصراع ذروته في الثلاثينات ، حين فرضت عليه السلطات العسكرية الإقامة الجبرية بالقنطرة ، إبان الحرب العالمية الثانية ، وذلك لتجعل حدا

١ - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 38 - 39 .

لنشاطه الإصلاحى الواسع الذى تجاوز حدود القرارة ليشمل وادى ميزاب كله^١ .

ولم يقف الصراع بين العزابة وممثلى الاحتلال الفرنسى عند دعوة الناس إلى مقاومة الظلم والفساد بالوعظ والإرشاد فى المسجد ، بل كثيرا ما قام العزابة بمواجهة القائد الممثل لسلطات الاحتلال ، فأعلنوا البراءة منه فى المسجد أمام الملاء ، وفضحوا أعماله ، وكشفوا ألاعيبه ، وتحذوه بالمقاطعة والتمرد وعدم الامتثال لأوامره .

وقد كان الاحتلال الفرنسى يعرف منزلة العزابة ودروس المسجد فى التأثير على الميزابين ، فتحاشى أن يصيبهم بسوء مباشرة ، لذلك خشيهم وسلط عليهم أذنا به .

كما اعتنى العزابة بمحفلات الأعراس ، حيث تقوم على أناشيد وطنية ودينية بلغة عربية فصيحة ، تدعو إلى العلم ، وتحث على الجد ، وتأمّر بالأخوة والاتحاد والتآزر ، وتغرس المثل العليا فى النفوس ، ومقت الاحتلال ، وشروره ، وحب الحرية والتحرر من الأغلال .

واعتنى العزابة كمل الاعتناء بحفظ القرآن وتعليم اللغة العربية ، إذ يقول "الأستاذ دبور" : " إنه لا

^١ - نفسه ، ص 41-42 .

يوجد في ميزاب اليوم أمي في الرجال لا يقرأ العربية ويكتبها . ولا
تجد فيها من يحتقر العربية ، ولا يعتد بها ، ويغار عليها ، وذلك
بفضل الكتابيب ، ودار التلاميذ ، والمدارس العربية العصرية التي
أنشأها ميزاب، وبفضل هذا النظام الديني الذي هزم الاستعمار فلم
يستطع أن يغرس في الجنوب احتقار العربية والدين الذي غرسه
في كثير من خريجه في الشمال" ¹ .

وأضاف قائلا ، في نفس النسق : " لقد أجهد الاستعمار نفسه
قرنا كاملا من الزمان ليجرد ميزاب من دينه وعرويته ، ويقضي
على نظمه وتقاليده الاسلامية ، فما استطاع ، ونحاض معه ميزاب
معارك سياسية واجتماعية طاحنة استمرت قرنا كاملا من الزمان ،
فكان النصر لميزاب الذي حمى دينه ونظمه الدينية ، وزال
الاستعمار وبقي دين الله " ² .

6- مجلس عمي سعيد الديني

لكل مدينة في وادي ميزاب مجلس عزابة ، يقوم بأمورها
الدينية والاجتماعية، وعلى رأس جميع هذه المجالس ، يوجد مجلس
يوحد بينها ، هو مجلس " عمي سعيد " في مدينة غرداية .

¹ - دبور ، المرجع السابق ، ص 215 .

² - نفسه ، ص 225 .

وقد نسب هذا المجلس إلى الشيخ عمي سعيد بن علي الجري الذي وفد مع اثنين من العلماء إلى وادي ميزاب ، وأحيوه بعلمهم في أوائل القرن العاشر الهجري¹ ، ولأن المجلس انعقد في المسجد الذي بني في مقبرة عمي سعيد ، خارج مدينة غرداية ، وربما تخليدا لذكراه ، وعرفانا لفضله وفضل أصحابه .

ويتركب مجلس عمي سعيد من كبار العلماء ، وكبار العزابة وينتخب المجلس أكبر علمائه حصافة وشجاعة لرئاسته ، فيكون شيخ وادي ميزاب كله ، ومن الذين وصلوا إلى هذه المرتبة العلامة الشيخ إبراهيم بيوض² .

¹ - دبور ، المرجع السابق ، ص 241 .

² - من مقال ، لمحمد الشريف قاهر ، بمعجم مشاهير المغاربة ، (الجزائر 1995) ، ص 103... 105 : ولد الإمام إبراهيم بيوض عام 1401 هـ في القرارة بوادي ميزاب ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، ثم انكب على دراسة علوم اللغة والشريعة ، وسمح له شيخه عمر بن يحيى ، تلميذ الشيخ اطقيش ، بحضور الاجتماعات السرية التي تجمع أعيان البلد لإصلاح ومحاربة الفساد والوقوف في وجه الاستعمار . وأصبح يدرس اللغة العربية والأدب والفقه لتلاميذ المدرسة التي نشأ فيها ، ثم أسندت إليه إدارتها عام 1921 ، وفي عام 1923 انضم إلى حلقة العزابة ، ثم أسندت إليه مشيخة المسجد ، فأصبح الواعظ الخطيب والمتحدث بهيئة عزابة القرارة ، ثم عين رئيس الهيئة الدينية عام 1939 ، وبقي كذلك إلى وفاته عام 1981 ، وكان مفسرا للقرآن ومفتيا حتى بلغ درجة الاجتهاد .

وتتمثل مهمة مجلس عمي سعيد في فظ المشاكل العامة التي تحدث في وادي ميزاب ، والاجماع على الطرق التي يجب سلوكها للخروج من الأزمات التي تحدث ، وفي هذا المجال يقوم بالأعمال التالية :

- أ- تولية المشائخ في المساجد للوعظ والفتوى .
- ب- اختيار الأقوال الفقهية الصحيحة التي يحكم بها القضاة ، في المسائل التي كثر فيها الخلاف .
- ت- النظر في القضايا التي يحكم فيها القضاة حكما لا يرتضيه أحد الخصميين ، حين ترفع إليه .
- ث- سن القوانين في دائرة الدين لتصبح عرفا اجتماعيا وتقاليد قارة يأخذ بها المجتمع الميزابي ، سيما في الأمور الهامة التي قد لا تبين فيها خاصة كل مدينة وجه الصواب ، وتسمى هذه القوانين " اتفاقيات عمي سعيد " .

وكان الشيخ ابراهيم بيوض من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وانتخب عام 1931 في أول إدارة للجمعية نائب أمين المال ، ومن أعمال الشيخ بيوض الجليلة ، إنشاؤه لمعهد الشباب الثانوي للعلوم الإسلامية والعربية بالقرارة ، الذي أصبح فيما بعد " معهد الحياة " ، وفيه قضى حياته العلمية تدريسا وتربية وإدارة .

ج- مراقبة أوقاف الميزابين خارج وادي ميزاب ، فإن الميزابين لا يحلون في مدينة ويكثرون إلا وينشئون فيها مسجدا ومدرسة ، ومقبرة لموتاهم ، ودارا لتزول المسافرين ، وتحبس هذه المنشآت جميعها للميزابين لذلك يتولى مجلس عمي سعيد مراقبتها وله الحق في التصرف فيها .

وختاما لهذا الفصل فإن إباضي وادي ميزاب يرون العزابة منهم ، قد قدموا إلى وظائفهم برضاهم واختيارهم ، وهم خيارهم لدينهم وعلمهم وصلاحهم ، فيتواضعون لهم ، ويخشون أمامهم ، ويتمثلون بأوامرهم ، وينقدون لهم ، فامتثالهم للعزابة هو امتثالهم للدين ، وذلك لأن العزابة يمثلون الدين ، هم ينطقون بلسانه ، ويأمرون بما جاء به ، وهم حفظته وحماته .

الختاتمة

سواء زوايا التعليم المحض أو الزوايا الصوفية ، غالبا ما جمعت بين المسجد والمدرسة وسكنى الطلبة من ناحية الوظيفة . ويتخوي بناء الزاوية عادة على مسجد بدون مئذنة ، وعلى ضريح مؤسسها، وعرف للطلبة بالإضافة إلى بناءات أخرى مكملة لها . وشكل الزاوية يوحى بالعزلة والتقشف والهدوء ، فالزاوية غير ضخمة البناء، وجدرانها قليلة الارتفاع ، وسقفها منخفض، وعناصرها المعمارية بسيطة وغير مزخرفة .

وكان عامة الناس يميلون بأوقافهم وصدقاتهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية والطرق الصوفية ، فقد كانت بعض الزوايا والطرق الصوفية غنية ، حيث تطعم الأعداد الكبيرة من الزائرين وتؤويهم وتعلمهم .

إن المسؤول الرئيسي على الزاوية في العادة هو مؤسسها أو الم رابط نفسه أو ورثته . فهي مقام الولي الصالح ومصلاه ، وجمع أوراده وأذكاره ، وفيها يدرس ويستقبل المريدين ، وفيها يصلح بين الناس ، وينورهم في شؤون دينهم ، ويفتيهم ، ويحكم بينهم . وفي غياب المؤسس أو الم رابط يتولى تسيير الزاوية عادة أبنائه وأحفاده على نفس النمط ، وهم عادة يمثلون طريقة صوفية معينة . ولكن

الزاوية تحتاج أيضا إلى مساعدين وغيرهم، فكانت أغلب الزوايا تحت إشراف المقدم (أو القيم) ، وكان هذا المقدم عادة من نسل الشيخ المرابط أو من أهل الصلاح والخير .

كما كان الطلبة أيضا يتولون تسيير الزاوية تحت إشراف المقدم (أو القيم ، أو الوكيل) ، فيسهرون على النظافة والتموين ، وأداء الشعائر الدينية ونحو ذلك .

وإذا كان التعليم في الزوايا لا حدود له من حيث السن ومدة الدراسة، فإن له حوافز تدفع بالمتعلمين إلى المزيد من طلب العلم وإتقانه وفهمه. فمعظم المتعلمين كانوا يستزيدون علما استكمالا لدينهم ، وفهما لمبادئه وحدوده .

ومن جهة أخرى ، فقد كان المتعلم مدفوعا إلى العلم بدافع ذاتي واجتماعي. فالطالب كان يقدم على التعليم لرغبة ملحة وتوضحية كبيرة وإيثار للذكر الحسن، لأنه يجد فيه لذته وإشباع ميوله الشخصية والاجتماعية .

وهناك من كانت تدفعه إلى طلب العلم تقاليد الأسرة ، وإذا كان الوالد من العلماء أو المتصوفة فالغالب أن ابنه سيقبله في ذلك ، وبتشجيع منه . وقد كانت بعض الأسر تتوارث العلوم والتصوف، كما كانت أسر أخرى تتوارث التجارة والمهن الأخرى .

وإذا تخرج المتعلم من الزاوية قد يصبح شيخا يدرس بالزاوية نفسها أو زاوية أخرى، أو إماما في أحد المساجد، أو مؤدبا للصبيان في أحد الكتاتيب ، وقد يواصل تعليمه خارج الجزائر لبلوغ المترلة الرفيعة .

وما دام العلم كان لا يؤهل في الغالب لأعمال دنيوية مربحة، فإن أصحابه كانوا يكتفون منه أحيانا بالقليل مما حصلوا عليه في ، ويتجهون وجهات أخرى في الحياة لا تحتاج إلى غزارة العلم .

ومهما كان، فإن الزوايا التعليمية المحضة أو الصوفية أو مدارس العزابة ، قد أدت واجبا عظيما نحو الأمة في حفظ الدين واللغة والتراث ، وربت طلبتها على الزهد والعفة ، وعلمتهم الرفعة و الكرامة ، والحفاظ على الشخصية ، وهذا يتجلى في منهجها التربوي ونظامها الداخلي ، وذلك بالإضافة إلى دورها التعليمي في مختلف العلوم الدينية واللغوية والمحضة .

والطريقة الصوفية كالزاوية تهتم بالتربية والشعائر الدينية اهتماما كبيرا فلا تنهون في أداء الواجبات الدينية، وفي الأذكار والسلوك والأخلاق، فهي قواعد أساسية في ممارسة الزهد والتصوف .

وما أن لاحظ الاحتلال الفرنسي الدور الذي تقوم به الزوايا في مجال التربية والتعليم والتصوف ، حتى مدّ يده إلى هذه الزوايا يشوهها ويستأصلها ، ويتخذها قاعدة في التدمير والتخريب، وذلك

لأن الاستعمار يعلم أن التعليم الديني الحر الزاهد هو الذي يصنع العقول المفكرة الراضة للاحتلال ، ويعطي الشخصية الوطنية والقومية عمقا واعيا ، وبالتالي يمثل حصنا يجعل كل المحاولات الفرنسية في التغريب والذوبان عبثا ومجهودا ضائعا .

لكن الزوايا التعليمية والصوفية كانت حصونا للإسلام ، ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره ، وتعليم مختلف العلوم الشرعية ، واللغة العربية ، وتدريس الفقه المالكي الذي انتشر في المغرب العربي كمنظومة ابن عاشر ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والشيخ خليل وغيرها ، وهذا دون إهمال العلوم المحضة أيضا ، وهي المتطق والحساب والفرائض والفلك ، وكذلك مدارس العزابة التي اقتصت في الفقه الإباضي

إن زوايا الصوفية وجماعة العزابة كانت تؤدي أيضا وظيفة المحاكم الشرعية ، يقصدها الناس للفتاوي والاستفسارات عن الأمور الدينية ، وإصلاح ذات البين ، وفض النزاعات والخصومات ، وتسوية الخلافات عن طريق الصلح والتراضي . وهي أيضا ملاجئ تأوي الطلبة والفقراء وأبناء السبيل وتطعمهم .

وفي أيام الحرب كانت بعض الزوايا ومقرات الصوفية ملتقى المجاهدين ، ومراكز المقاومة ، وهذا ما أثار غضب الاحتلال الفرنسي ، فدفعه الحقد إلى هدم وتخريب معظمها ، واغلاق بعضها ، وذلك لأنها كانت مراكز للثقافة الإسلامية ، واللغة

العربية، والتوعية الوطنية والقومية ، ولمقاومة الاستعمار ، وتحرير
الناس على مقاطعة المحتل ، والإعراض عن هيئاته ومؤسساته .

المصادر والمراجع باللغة العربية

- ابراهيم محمد طلاي ، ميزاب بلد كفاح، قسنطينة 1970 .
- ١ - ابراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر 1999
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981.
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998 .
- أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة . المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 .
- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983 .
- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر 1906 / مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985 .
- أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر . دار الكتاب / دار المعارف ، القاهرة 1963 / الجزائر 1984 .
- الحاج مزارى ، الهامل ، المطبعة العصرية بلوزداد ، الجزائر 1993 .

- بكير بن سعيد أعوشة ، محمد بن يوسف اطفيش ، غرداية
1989 .

- رابع تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية (ش. و .
ن . ت) ، الجزائر 1975 .

- سعيد بن الزكري الجنادي الزواوي ، أوضح دلائل على
وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل مطبعة فونتانة ، الجزائر 1903 .

- عباس بن ابراهيم المراكشي ، الإعلام بمن حل بمراكش
وأغمات من الأعلام ، ج 05 المطبعة الجديدة ، فاس 1938 .

- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج 1 ، دار
الكتاب اللبناني ، ط 2 ، بيروت 1979 .

- عبد الله ركيي . الشعر الديني الجزائري الحديث . الجزائر ،
(ش . و . ن . ت) 1981 .

- علي يحيي معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة
الرابعة ، غرداية 1986 .

- عمار هلال ، الطرق الصوفية ، ونشر
الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء ،
الجزائر 1988 .

- عمر فروخ ومصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، بيروت 1953.
- عوض محمد خليفات ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا ، عمان 1982 .
- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية 1984 .
- محمد الهاشمي بن بكار ، كتاب مجموع النسب ، الجزائر 1961 .
- محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ج 01 ، فاس 1326 هـ .
- محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ج 01 ، بيروت 1964 .
- محمد عبد القادر ، الفكر الصوفي في السودان ، القاهرة 1968 .
- محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج 1 ، دمشق 1965 .
- محمد ناصر ، حلقة العزابة ، الجزائر ، 1989 .
- محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر . دار الفكر ، الجزائر 1989 .

- مفران يسلي ، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920 - 1954) . رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، سنة 1991 .

- مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني . (ش. و. ن. ت) ، الجزائر 1981 .

- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج 1 ، الجزائر ، 1996 .

المقالات

- أبو عمران الشيخ وعلي علواش ، معجم مشاهير المغاربة ،
جامعة الجزائر ، 1995.
- جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار ، في ملتقى أيام
14-15-16 ماي 1998 بالمركز الثقافي في مدينة أدرار .
- دي مو تلتسكي ، " الإباضيون " دائرة المعارف الإسلامية،
المجلد الأول . القاهرة 1933
- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، المكتبة التجارية ،
بيروت 1971.
- علي علواش ، " التجاني " ، معجم مشاهير المغاربة ،
جامعة الجزائر 1995 .
- لفتسكي تادوز ، " الحلقة " ، دائرة المعارف الإسلامية ،
المجلد الثالث .
- لويس ماسينيون ، " مادة التصوف "، دائرة المعارف
الإسلامية ، المجلد الخامس .
- ليفي بروفنسال ، " الزوايا " دائرة المعارف الإسلامية ،
المجلد العاشر .

- ماسينيون ، " مادة طريقة " ، دائرة المعارف الإسلامية ،
المجلد خامس عشر .

- محمد البشير الإبراهيمي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، عدد 21
، القاهرة 1966 .

- محمد الشريف قاهر ، بمعجم مشاهير المغاربة ،
الجزائر 1995 .

- محمد حوتية ، " مخطوطات إقليم توات " مجلة
معهد للبحوث والدراسات الافريقية ، ديسمبر 2001 ،
جامعة القاهرة .

- مرجوليوث ، " تجانية " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد
الرابع .

- مصطفى عبد الرازق باشا ، " مادة التصوف " دائرة
المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع .

- و، ج مارسى ، " المباني العربية بتلمسان " . دائرة المعارف
الإسلامية .

- يحيى بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال
القرنين 19 و 20 " مجلة الثقافة " عدد 63، السنة 11 ، ماي /
جوان 1981 .

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

-Ageron (Ch.R), Les Algériens musulmans et la France 1871 – 1919 , Paris 1968 , T.1.

-Depont (o) et Coppolani(y) ,Les confréries religieuses musulmanes , Alger , 1897 .

-Deveyrier (H) , Exploration du Sahara , Paris 1905 .

-Foureau (F) , d'Alger au Congo par le Tchad , Paris 1902

-Levi Provençal (E.) : Les histoires de chorfa , Paris 1922

-Marey (général) : Expédition de Laghouat , Alger 1844

-Rinn (L) , Marabouts et khouan , Alger , 1884 .

-Taillart(Ch).l'Algérie dans la littérature française,Paris 1925

. المقالات .

-Berque (A) , « Un Mystique moderniste : de Cheikh Benalioua . » , Revue africaine ,vol . 79 / 2 ,année 1936 .

- Cauvet (commandant) : « Notes sur le Souf et les Souafat » , Bulletin de la société de géographie d'Alger , Vol 35 , N° 137 , année 1934 (01^{er} tri .) .

-Cour (A), «Recherches sur l'état de confréries religieuses musulmanes », Revue africaine , 1921 .

-Garrot Henri , « Le mouvement islamique » , Bulltin de la societe de geographie d'Alger et de l'Afrique du Nord , 1906

-Maugin (E.) : « Notes sur l'histoire de Laghouat », Revue africaine, N° 38, année 1894

-Trumelet (C) : « Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 » Revue Africaine , Vol . 21 , année 1877.

- Yver (G) : « Abdelkader et le Maroc en 1838 »
Revue africaine , N° 60 , année 1919

فهرس المحتوى

المقدمة	5
تمهيد	7

الفصل الأول : زوايا العلم والتعليم والاحتلال الفرنسي

1- تعريف	13
2- نشأة الزوايا بالمغرب الإسلامي والجزائر خاصة	14
3- انتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر	18
أ - زوايا الوسط الجزائري	25
ب - زوايا منطقة زواوة	26
ج - زوايا بجاية ومنطقتها	29
د - زوايا الشرق الجزائري	30
هـ - زوايا الغرب الجزائري	31
و - زوايا الجنوب الجزائري	32
ز - زوايا توات وإقليمها	34
4- سياسة الاحتلال الثقافي وتصدي الزوايا لها	37
أ - سياسة فرنسا والتصدي لها بالمحافظة	
على اللغة العربية	39

ب - سياسة التنصير والتصدي لها بالمحافظة	
على الدين الإسلامي	41
ج - سياسة الإدماج والتصدي لها بالمحافظة	
على الروابط	44
5- دور الزوايا في نشر العلم	46
6-تنظيمات الزوايا	51
أ- موارد الزوايا	51
ب - نظام التسيير بالزوايا	58
القائمون على الزوايا	58
الطلاب	60
المدرسون	62
ج- نظام التعليم بالزوايا	64
الالتحاق بالزاوية	64
منهج الدراسة	66
المواد المدروسة	69
7- نماذج من الزوايا التعليمية	73
أ - زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي	73
الموقع والتأسيس	73
نظام التسيير	74
نظام الدراسة بالزاوية اليلولية	76
النظام الاجتماعي	78

79	مساهمة الزاوية.....
80	أسماء بعض الشيوخ المدرسين بالزاوية اليلولية ...
82	ب - زاوية الهامل.....
82	الموقع والتأسيس.....
83	إدارة الزاوية
84	أهمية الزاوية ودورها التعليمي
85	المواد الدراسية
86	بعض خريجي زاوية الهامل وأشهرهم
88	أبرز المجازين بزاوية الهامل
89	8- حوارات.....
89	أ- حوار مع الأمين العام للجمعية الوطنية للزوايا
90	ب - حوار مع ناظر الشؤون الدينية بولاية أدرار

الفصل الثاني :

الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر

95	1- مفهوم التصوف وممارسته
99	2- العلاقة بين التصوف والاحتلال الفرنسي للجزائر
100	3- الصوفية والدور الوطني
101	أ- القادرية

ب- الشاذلية	106
ج- الزروقية واليوسفية	112
د- العيساوية	115
هـ - الكرزازية	117
الشيخية	118
ز- الزيانية	123
ح - الرحمانية	126
ط - السنوسية	133
ي - التجانية	137
ك - الدرقاوية	151
ل - العليوية	155
م - البكائية	157
ن - الطكوكية	158
ص - الطيبية	161
4- موقف الاحتلال الفرنسي من الصوفية	163

الفصل الثالث :

العزابة بوادي ميزاب	167
1- التعريف بنظام العزابة	169
2- الدور الديني للعزابة	175
3- الدور الاجتماعي للعزابة	180

- 4- الدور التربوي والتعليمي 184
- 5- دور العزابة في مقاومة الاحتلال الفرنسي 188
- 6- مجلس عمي سعيد الديني 192

الخاتمة 197

المصادر والمراجع باللغة العربية 203

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية 209

الإيداع القانوني : 2007- 4637
ردمك : 5 - 803 - 54-9961-978
دار الغرب للنشر والتوزيع
حي 52 مسكن رقم ENSEP/101 – وهران-
الهاتف: 041 58 85 52 / 041 58 17 82

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

كثر الجدل والنقاش في أوساط المثقفة حول الزوايا ومختلف الطرق الصوفية في الجزائر ، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي ، ومدى مساهمتها في الحفاظ على مقومات المجتمع ، ومقاومة الاحتلال ، أو تخضير المجتمع والتعامل مع الاحتلال فهل كان دور الزوايا والتصوف إيجابيا أو سلبيا في مواجهة الاحتلال الفرنسي ؟ وكيف كان موقف الاحتلال ورد الفعل ؟

في الواقع قامت دراسات حول الزوايا والتصوف في الجزائر ، ولو كانت قليلة أو جزئية وتعرضت إلى جوانب دون أخرى ، أو محلية في بعضها . ولو اجتمع شتات تلك الدراسات وتناولت بطريقة أكاديمية كما فعل " د. أبو قاسم سعد الله " في مؤلفه " تاريخ الجزائر الثقافي " ، لوجد الباحث مادة غزيرة حول الموضوع أو ما يحتاج إليه . واعتمادا على ما ذكر حاولت جمع بعض المعطيات حول الزوايا والتصوف ، وتلخيصها وترتيبها ، وتقديمها مختصرة للقارئ .

ولعل المتصفح قد يجد في هذه المساهمة البسيطة والتواضعة ما كانت تقوم به الزوايا من تعليم ديني تمثل خاصة في القرآن والتفسير والحديث والفقه ، والنحو والصرف والأدب والبلاغة ، بالإضافة إلى علوم أخرى كالحساب والفلك والتاريخ والجغرافيا .

أما التصوف فبالإضافة إلى اهتمامه بالعبادات والزهد ، فظهر دوره الروحي والاجتماعي والتربوي لا سيما في إقامة الزوايا والقيام بالتعليم ، وإيواء اللاجئين ، والإصلاح بين أفراد المجتمع ، وتقديم الملجأ الروحي للذين يعانون الاحتلال وتعوزهم الوسيلة لمقاومته .



دار الغرب للنشر و التوزيع

